المرتضى

للكتب السودانية



نوستالجيا نوبية

مقالات عن القضية النوبية

حجاج أدّول

إهداء

(إيدي في إيدك نزرع شجرة)

شعار صديقي جمال سرور المشارك في ثورة 30/25.
جمال سرور الذي قال وعمل وبني وزرع في قرى التهجير النوبية، كان ومازال إيجابياً قولاً وعملاً رغم سخافات المنافقين.

إلى جمال سرور أهدي هذا الكتاب

حجاج أدّول

النوبة أهم منطقة مصرية تلاحمت مع النيل وتفاعلت معه؛ فأنتجت ما يلذ الشعور ويضاف إلى التحضر. والإنسان ابن بيئته، فالنوبي ابن النيل والنخيل، لا نقول إن النيل شريان حياته الوحيد فقط، بل نقول إن النيل هو حياته، فبدون النيل لا نوبة، هكذا ببساطة. فقد أخذ النوبي مكوناته الأساسية من نيله، فلونه غرين نيلي، وسلاسته من سلاسة النيل، وغضبه غضب وقتي، مثلما ثورة النيل لا تزيد فترتها عن أيام فيضانه ثم يعود إلى هدوئه الطيب. عبد المصريون القدماء النيل تحت اسم "حابي". النوبة دياناتها هي الديانات المصرية وإن كان لها بعض الخصوصيات. النوبة عبدت النيل ثم مع الرسالات السماوية اتخذته آية من آيات الله تُحترم وتُجَلْ. لم يقض النوبي حاجته أبدا في النيل، فيتمضمض للوضوء ثم يطرد المياه في البر، وكذلك حين يستنشق. الأولاد يستحمون في النيل ولا يتبولون فيه مطلقا، وحين يريد النوبي تنظيف بقرته، يأتي بالمياه من النهر ويغسل بقرته وهي على البر ولا يسمح لها بالهبوط في المياه. هكذا كان حب النيل وتقديره من ضمن ثقافة النوبيين المفطورين عليها.

النوبة كانت تعمِّد مولودها في النيل وأظن أن هذه الشعيرة من قبل دخول الديانة المسيحية. تهبط زفة نسائية خالصة بمصاحبة الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، يحملون المولود وطبقاً كبيراً به عصيدة لبن بالسكر، ونموذج مركب يحوي شمعة وحبوب غلة وخلاص المولود وقطعة من ملابس الأم حين ولادتها. على الضفة يمسحون الطفل بالمياه المقدسة وبلون نباتي يرسمون الصليب على جبهته وهم يدعون له ويصلون على النبي (مهمّد)، ثم يدفعون نموذج المركب لتبحر في النهر، وخلال ذلك يأتي صبي من بعيد مهرولاً شاهراً سكيناً هاجماً عليهم، لكنه يصل بعد إبحار نموذج المركب متقد الشمعة، فيغرس السكين في الضفة معلناً فشله في اغتيال المولود. بعدها يتناولون كلهم لقيمات من العصيدة. إنها حكاية سيدنا موسى ومطاردة جنود فرعون له، وأمه التي وضعته في التابوت! ونموذج المركب يذكرنا بمراكب الشمس التي تأخذ المتوفى إلى الغرب في الفرعونيات، وأيضاً بالمركب النموذج في أعالي قباب الكثير من الجوامع القديمة، وأشهرها نموذج المركب الموجود فوق جامع الإمام الشافعي. هذه الزفة وهي تهبط إلى الضفة تهزج بأهزوجة رائعة..

إر ماري مارين تو

يا صالاوي النِّبي

والمعنى.. أنتِ يا مريم, وأنتَ يا ابن مريم "سيدنا عيسى" عليكما السلام.

الغناء والرقص النوبيان هما ديوان النوبة. فالكتابة مفتقدة أغلب أحقاب التاريخ. الشفاهية تجبّر الفنان أن يصب إبداعه شفاهه في أغان متنوعة. والرقصات تأتي من محاكاة البيئة. في "الأراجيد" أي حفلات الأعراس، تجد النوبيين صفوفاً، وأمامهم النساء صفوفاً ووسطهم الساحة التي يقف فيها بضع رجال ومعهم الدفوف يضربون عليها ويغنون لتجيبهم الصفوف كلها رجال ونساء وهم يرقصون متقدمين للأمام والخلف إيحاءً بتدفق أمواج النيل. وحين يتحمس بعضهم من

الجنسين ويتقدمون لوسط الدائرة، فيرقصون في دوائر تتشكل على هيئة دوّامات. وبعض الرقصات الخاصة وسط الجموع هي رقصات السمك. والمواويل مواويل نيلية مسترسلة هادئة مطمئنة. وفي السخونة تكون سخونة فيضان النيل الموسمي.

وفي هذه الأعراس الملحمية من كثرة أعداد المشاركين من النوعين ومن كافة الأعمار، يكون التنظيم الإداري الدقيق. فتقسم المسئوليات.. استقبال الضيوف، تحضير الأضاحي، ذبحها، شراء الخضروات وغيرها، الطبخ، إحضار الدقيق وعجنه وخبزه على قرص الحديد "الدِيوْ" التوزيع. المشروبات، جلب المياه من النهر، تبريدها في الأزيار ثم توصيلها في كيزان لامعة إلى الحضور، إلخ. وحين نعلم أن الزفاف قبل تهجير النوبة كان يضم المئات من الحضور، سواء أكانوا من نفس القرية أم من قرى أخرى، نتأكد أن الإدارة يجب ان تكون ممتازة وإلا يترهل الأراجيد.

ملابس النوبيين أيضا متأثرة بالبيئة، فالجرجار الذي ترتديه المرأة أسود شفاف يظهر من تحته جلباب ملون. لماذا؟ ليعطي الجرجار هيئة المياه الشفافة. وفوق ركبتي المرأة النوبية نجد بالجرجار ثنيات متوالية، إنها أمواج النيل. ثم إن حولت اللون الأسود إلى الأبيض، أليس هذا هو فستان العروس المصرية عموما؟ وإن طلبت من العروس أن تضع قبضتيها على جانبيها مشكلة مثلثين، وألحقت بظهرها قرص الشمس الفرعوني، أليس هذا الشكل هو شكل عروسة المولد؟ وإن وقف الرجل النوبي بجلبابه مادا ذراعيه جانبا على طول امتدادهما وفاتحا ساقيه قليلا، وعلى رأسه عمامته الشهيرة. فهو مفتاح الحياة الفرعوني آنخ، ويقال عنه الصليب الفرعوني. وآنخ معناها الحياة، ونفس المعنى أيضا بالنوبية "آنج" بتعطيش الجيم! لننظر لهذا الترابط القوي بين النوبة ومصرها، ولنتابع ما أيده العلماء الأجانب بأن هيئة الجماجم والعظام النوبية هي هيئة المصري عموما، وللعلم.. لا يقاس التقارب باللون، بل بالعظام وهكذا سيثبت علم الجينات مستقبلا كم التلاحم بين النوبي المصري والمصري عموما.

والنوبيون في الأصل فلاحين. وأهم منتجاتهم البلح وأهم أشجارهم بالتالي هو النخيل. ولونهم مثلما هو من النيل هو أيضا من البلح البني. وقامتهم كانت سمهرية لا امتلاء فيها، ورغم هذا فهي قوية كعود النخيل الطويل. وأسِرَّتهم التي ينامون عليها من ساق النخيل، وأيضا أجزاء عديدة من سواقيهم وغيرها. وأطباقهم الخوصية الملونة الرائعة من الجريد.

وبيوت النوبة أغلبها يطل على النيل، والبيت نفسه من الغرين النيلي الذي يرطب داخله صيفا ويدفئه شتاءً! ثم أليس الإنسان خُلِق من طين، والبيت النوبي من طين، إذن فالاثنان مستريحان معاً.

والنوبيون لا نستطيع أن نقول أنهم عرقية مغلقة، فقد تداخلت فيها عموم مصر خاصة من الصعيد، كما تداخلت النوبة في مصرها. وبها عائلات ذات أصول مغربية وعربية وتركية

ومجرية وأذربيجانية، بل وبها خمس قرى أتوا من الجزيرة العربية. من هذا نعلم أن خصوصية النوبة خصوصية ثقافية وليست عرقية.

ومن بعد تهجير 1964 بسبب بناء السد العالي. تغيرت البيئة، فبدأ التغيير في كل أمور الحياة النوبية. نظام البيوت والمأكولات بل والأراجيد نفسه تغير فيه الكثير من البنود. صارت العروس تذهب إلى الكوافير ومع عريسها يذهبان إلى المصور مرتديين ملابس المدينة. اختلف كل شيء، لكن عبق البيئة القديمة مازال يعطر جوهم سواء أكانوا في قرى التهجير أم قرى النوبة بنيل أسوان أو في المدن الشمالية.

الإسكندرية 5 يناير 2010

ثورة الخامس والعشرين وحقوق الثقافات الفرعية

بدايةً. أقصد بمصطلح الثقافات الفرعية، الخصوصيات الثقافية من عقائدية وإثنية وجهوية، وأحيانا يقال عنها أقليات.

من أهم الأساطير الفرعونية، أسطورة إيزيس وأوزوريس كثنائية في وحدة خير، ويعملان على وحدة الشعب المصري، وعدوهما "ست" الممثل للشر، والعامل على تفتيت تلك الوحدة. يستمرُ الخير بتجميع القطاعات المصرية، واحترام خصوصياتِها، فتزدهر مصر، فيعمل "ست" على بعثرة القطاعات المصرية، أي بضرب الخير في مقتل باغتيال أوزوريس وبعثرة أشلائِه فلا يكون قطعة واحدة، مع إذلال إيزيس روح مصر. ثم دور إيزيس التي جمعت أشلاء زوجِها المتناثرة في أنحاء مصر. وبدعواتِها وبحبِها وبدموعِها النيلية، وباستعانتها بالعلم "إله المعرفة

توت" بَثَّت الحياة في أوزوريس. فحياةَ أوزوريس لا تكون إلا بالوحدة والمعرفة، ثم أنجبا ابنهما المقاتل حورس، حورس الشاب نتاج الخير، قاتَل الشرَّ المتمثل في "ست" وهزمه.

الشر رسخ على مصر عقوداً طويلة، ومصر الخير تتمثل في إيزيس وأوزوريس، وثورة الخامس والعشرين من يناير 2011، هي حورس الذي يطيح حالياً بشرور ست، المتمثل في نظام "المخلوع".

في الأسطورة، إيزيس تجمع شتات أوزوريس من سِتَةَ عشر قطاعاً. وهي مناطق مصر كُلِها من شمالِها لجنوبِها ومن شرقِها لغربِها. وهذه هي اللبنة الأساسية للأمن القومي الذي لن يقوَى إلا بتجميع قطاعات الوطن ليكون واحداً سليماً صحيحاً. وقد عَمِلَ نظام الشرِ السابقِ على تمزيق الوطن تمزيقاً رأسياً، عَلَّتْ من طبقاتِ لا تستحق العلو، وعليه كانت الصدامات بينها وبين من خُسِفَ بِهِم وكان من حَقِّهِم العُلُوْ. ومزقت الوطن أيضاً أفقيا، فعملت على بث الفرقة بين أقاليم أطراف مصر، مثل النوبة في الجنوب وبدو سيناء في الشمال الشرقي، وبدو مطروح في الشمال الغربي. هذا بالإضافة إلى بث الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، والرجل والمرأة، وبقية التجمعات الفاعلة. والغرض ضرب الشعب بعضُه ببعض، فلا يتكتل الشعب ضد عدوِه الحقيقي الذي يحتلُه، وهو النظام الفاجر السابق.

وأقاليم مصر ليست فقط مساحاتٍ وتضاريس، بل مجاميع بشر لهم ثقافاتُهم الفرعية التي تُغذي الثقافة الجمعية لعموم مصر وتأخذُ منها. ثورة الخامس والعشرين المستمرة، حققت الكثير رغم مؤامرات كارهيها المستمرة، ومن ضمن نجاحاتِها أنها أضعفت سياسة شيطنة الثقافات الفرعية. اعترف الكثير من المسئولين الجدد بأهمية الثقافات الفرعية، ومنها الثقافة النوبية، وبدءوا في فهم أن التعددية الثقافية فوق أنها حق للشعوب، هي ضرورة لاستقرار الداخل، وضرورة للاتصال الإيجابي بشعوب الجوار، أي أن التعددية الثقافية، بند أساسي من بنود الأمن القومي، سواء في شِقِّه الداخلي أو الخارجي.

كتب النوبيون كثيراً عن دورهِم في الأمن القومي الجنوبي، خاصة المشترك المائي مع شعوب حوض النيل، فشعوب الجنوب في إفريقيا يفاخَرون بالحضارة النوبية، وهي حضارة النيل الأقرب لهم مكانا ونفسا والأوقعُ تأثيراً، وعليه فالنوبة المصرية، هي المدخل الثقافي الأهم في ربط مصر بشعوب حوض النيل. وبناء على الرابط الثقافي المصري العام، بما فيه من جانب نوبي واضح، يُبْنَى الرابط الاقتصادي بين مصر وتلك الشعوب، فتكون الروابط الثقافية والاقتصادية التي أسهمت فيها المنطقة النوبية المصرية، من أهم بنود التفاهم والتكامل بين شعوب الحوض، وإبعاد كارثة حروب المياه التي بدأت طبولُها تنذر بالخطر.

في الأيام الأولى للثورة، نزلت كل طوائف وطبقات وقطاعات الشعب في الميادين. لم تتخلف أي مجموعة. لم يكن بين الجموع الملايينية أيةُ تمايز؛ فالكل في واحد ملاييني مصري. فكانت هذه الوحدة الكلية من أهم روائع الثورة. وبعد الأيام العشرة الأولى تقريباً، بدأ التمايز

الإيجابي، بمعنى أن كل مجموعة ميزت نفسها بطريقة ما، وهذا تأكيد فطري، بأن الوحدات الأساسية للوطن، متواجدة متكاتفة، وكلها تهتفُ لمصر، وتطالب بنفس المنطلق الأساسي للثورة (عيش، حرية، عدالة اجتماعية) فكان التمايز الإيجابي تعميقاً للوحدة، فلسانُ تمايز كل منها يقول.. نحن المجموعة الفلانية، نؤكد أننا من ضمن الواحد الملاييني المصري، وكل الثقافات الفرعية الإثنية والجهوية والدينية إلخ، قدمت الشهداء، لتقول نحن لنا خصوصيتُنا، وخصوصيتُنا جديلة مصرية، خاب من عَمِلَ على فَكْ لُحْمتِها.

نظرية المؤامرة، وإن لم تكن هي الخبث الأساسي في كل قضية، إلا أنها بالفعل متواجدة بدرجةِ ما، وتركيزُها على محور "فرق تسد". ولا ينكر عاقل أن محاولاتِ جرت في الخفاء، لزرع القلاقل المتصاعدة. ورغم آلام أبناء الثقافات الفرعية، وما يعانونه، لم يحدث أن أياً منها، قد حاول الانفصال عن مصر. بالنسبة للنوبة، في ثلاثينيات القرن الماضي، طاف مستر "هيث" البريطاني بقرى النوبة، حاثاً لهم بالمطالبة بالانفصال عن مصر، والانضمام للسودان. وفشل رغم سطوة الاستعمار البريطاني وقتَها. وقبل تهجير 1964، ووضوح الظلم الفادح الذي وقع على النوبيين في تهجيرات الخزان الثلاث السابقة، ووضوح ما سيقع عليهم في تهجير السد العالي، جاء وفدُ من نوبيي السودان، وهم في غضب مما حدث ويحدث، وطلبوا من عددِ من عُمد النوبة المصرية، الانضمام إلى السودان، ورفض نوبيو مصر. بل إن 90% من النوبيين المتواجدين وقتها في السودان، خُيروا قبل فيضان السد العالي، بين البقاء في السودان، أو العودة لوطنِهم المصري، فقرروا العودة لمصر.

الثقافات الفرعية في مصر التي نالت الظلم البين، مثلُها مثلَ بقية الشعب المصري، ونالت ظلماً مضاعفاً بسببِ خصوصيتِها التي تتمسك بها، فإن عمقها الوطني المصري، ووطنيتها المصرية وحماسها المصري مازال سليماً ناصعاً. لم يحدث أن نوبياً خان مصر، وذكرت مخابرات مصر أكثر من مرّة كَمْ الفداء الرائع من شعب سيناء، وأعلنت أسماء عدد من أبطال سيناء الذين حاربوا مع مصر ضد الصهاينة. وسَمِعْنا عن اجتماع "الحَسَنَة" الذي عُقِدَ تحت نير الاحتلال الصهيوني، وَرَفْضْ قبائل سيناء المطالبة بالاستقلال عن مصر، رغم وعود الصهيونية لهم بالسمن والعسل. ومسيحيو مصر هم أول من يقف ضد أية محاولاتِ لاستغلال آلامِهم، ليكونوا شوكة في جانب مصر. وأبطال مصر من مسيحييها، أكبر وأجل من حصرِهم في كشفٍ أو في مُجَلد.

ولفشل كل اختراق لمصر من الخارج، تمت المحاولات من الداخل، نيابةً عن العدو الخارجي. ففي عصر المخلوع وضُحِتْ تماماً، الضغوط والإهانات المتوالية المقصودة على أبناء الثقافات الفرعية، ليكفروا بالوطن المصري، ويتمحوروا حول أنفسهم. وفشلت المحاولات من الداخل كما فشلت من الخارج. واستمرت الثقافات الفرعية وطنيةً مصريةً، فحين تَلِمُ بمصرَ محنةُ، أو حتى تلوحُ في الأفق، تتكاتف الثقافات الفرعية مع النهر المصري الكُلي. وهذا حدث مراراً وتكراراً على مدى التاريخ، كما تكرر في ثورة 25 يناير.

مشاركة الثقافات الفرعية في الميادين، فوق بيانها بفشل مخطط مؤسسة المخلوع، أكدت أن مواطني تلك الثقافات يعلمون تماماً أن حلَ قضاياهُم الفرعية، يكون بحل القضية الأساسية لعموم الوطن، وهي قضية الحرية والديمقراطية.

ورغم أن الثورة لم تنته بعد، فقد تحقق للشعب الكثير من المكاسب، أولُها نسف سد الخوف من أمام الشعب المصري. وبالنسبة للثقافات الفرعية، فمثلما كان الظلمُ عليها مضاعفاً، فمكاسبُها مضاعفة، وأبين ثلاثة منها:-

- إضعاف سياسة شيطنة الثقافات الفرعية.
- ظهور قضاياهُم على السطح وعرضُها في وسائل الإعلام عرضاً صريحاً.
- أما المكسب القاعدي للثقافات الفرعية، أن الوجدان الشعبي المصري بدأ يراجُع نفسَهُ، بعد تأثرِه لفترةٍ طويلة بأكذوبة أن الثقافات الفرعية ما هي إلا انشقاقات وثغرات في الوطن. الوجدان المصري بدأ يلقي عن كاهله الافتراءات السلطوية، ويتفهم أن التعددية في الوحدة قوة مضاعفة.

ثَبُتَ مراراً وتكراراً في أوطان مجاورة لمصر وغير مجاورة أن مؤامرات الانفصال لا تُشْعِلُها الثقافات الفرعية، بل تُشْعِلُها الحكومات الديكتاتورية والفاشية، وأن المؤامرات الخارجية، ما هي إلا عوامل مساعدة فقط؛ لذا لم يقل العدو عن النوبة ولا عن بدو سيناء ولا عن مسيحيي مصر إنهم كِنْزٌ له، بل قال هذا عن "المخلوع" الذي كانت سياساتُه شيطنة الثقافات الفرعية، والتشكيك في وطنيتها المصرية.

وإن كان السؤال القلق الذي يتردد.. هل نالت الثقافات الفرعية كامل حقوقها؟ تكون الإجابة الاستفهامية.. وهل نال كل الشعب المصري حقوقُه كاملة؟ فالثورة انتهت موجَتُها الأولى فقط، ولا نعلم حتى الآن، هل الثورة ستحتاج إلى موجة ثانية، أم أكثر؟ وكيف ستكون تلك الموجات الاضطرارية؟ وأعلِن تفاؤلي، فمهما كانت العقبات، ومهما تخابثت عصابات الفلول, وعصابات الخطف الانتهازية، فإن أقصى نجاحاتِها هي، تعطيل النهضة المصرية المنتظرة، لكن أن تُفشِل ثورة 25 يناير، فهذا مستحيل.

من أوراق مؤتمر الثورة والثقافة 2012/4/14

الإسكندرية في إبريل 2012

احتفالا باليوم النوبي العالمي بالإسكندرية

رغم مؤامرات التشتيت والتذويب..

مازالت النوبة نبع التلاقي المحب

أبدأ وأقول باسم الله.. ما أحلاكِ يا مصر حين تتخلصين من سُلطة بشعة حاولت تلويث وجوهِك النيّرة، ما أطيبك يا مصر وأنت تعودين إلى الضمير الذي رمزتِ له بكلمة "ماعت". كم ارتاح لمصريتي وهي تحتضن نوبتي المجروحة وتفخر بها.

أثني وأقول.. إن بدأت الحضارة في الجنوب النوبي وأشرقت بنورِها، فقد زهزهت الحضارة وبهرت الدنيا في الشمال المصري. ما أروعك يا معبد رمسيس/نفرتاري، ما أروعك يا معبد "أبو سنبل" وأنت تعلمنا التعددية في الوحدة. فالمعبد ثنائي وهو في نفس الوقت معبد واحد. وصرنا وقد اندمجنا قبائل وشعوبا لنتعارف بالتلاقي الحي والتناغم الثقافي المتعدد تشكيلا وموسيقى وغناءً وأدباً وغيرها. ما أجملنا مواطنين حين نُقْبِلُ على بعضِنا بتنويعات ألوان وأديان وأماكن. تعدديات آلات ومقامات والكل في أوركسترا واحد، فاللحن واحد كما أن الوطن واحد والرب واحد. فنعم بالله ونعم بالشعب حين يسودُ بالحق ويسترجع للجميع الحرية والإخاء والمساواة، فيظلِلُنا جميعا الوئام والانسجام.

نحن في مركز الحرية للإبداع، الحرية ستشمل مصر كلَّها بعزيمتِنا في استكمال ثورتِنا المصرية، ثورتُنا التي شاركنا فيها كلُنا مسلمون ومسيحيون، بحاروة وصعايدة وبدو ونوبيون. نحن في مركز حكومي كان تحت سيطرة طغمة ما، الآن صار الشعب يديره، ولي الفخر أنني وأنا المصري النوبي السكندري، قد اخْتِرتُ ضمن مجموعة مثقفين ليديروا هذا الصرح الجميل. وهذا دور ثقافي سكندري أقوم به كما قمت بدور في إدارة جماعة أصيل الأدبية تحت قيادة الأديب النوبي السكندري أنور جعفر رحمه الله، وكان مكاننا هو مقر النادي النوبي بالإسكندرية، فالنادي النوبي كما هو نوبي فإنه سكندري مصري، تماما مثل مركز الإبداع بالإسكندرية الذي جعلناه

(مركز الحرية للإبداع). وجماعة أصيل توصت بالشباب في وقت الشباب كان عند البعض مجرد حُلية زينة فقط لاغير. احتفت أصيل بالأدب المصري والعربي عموماً. وركزت على الآداب والفنون السودانية، فالسودان نصفنا في الجنوب، كما أن مصر نصف السودان في الشمال. وركزنا على آداب وفنون فلسطين، فهي جرحنا الذي سنداويه جميعا بحصار العنصرية الصهيونية.

في الثالثة أقول.. ما احتفالُنا باليوم النوبي العالمي، إلا لنقولَ لأنفسِنا وللبشريةِ.. إن النوبة ثقافة مضافة للثقافة الإنسانية؛ ثقافة تستحق أن تبقى من ضمن ثقافات البشرية. احتفالنا الليلة لنقول إن النوبة في محنة تهدد وجودها؛ لذا هي تستحق منا كنوبيين أن نحتفي "باليوم النوبي من أجل تنمية قدرات الانتماء إلى النوبة؛ ولكي تبقى النوبة حاضرة في الذاكرة والوجدان" كما كتب الأستاذ محمد ولياب". اليوم نحتفي لنقول للعالم عامة ومصر والسودان خاصة.. النوبة تستحق الوقوف بجانبها إنسانياً، طالما قواها الذاتية مازالت تقاوم بشاعات التذويب. احتفالُنا باليوم النوبي هو احتفال بالحب والجمال والخير. أنا موقن أن النوبة في لُبِّها هكذا.. حب وجمال وخير. كما أوقن أن المجتمعاتِ الإنسانيةَ كلَها وهي في حالتها الطبيعية، بعيداً عن غوغائية سُلطة أو هلوسة زعيم أو قائد مخبول.. هي طاقة حب وجمال وخير.

في الرابعة أقول لمن لم يفهم النوبة نتيجة لإعلام بائد، أو لرأي عنصري فاسد.. النوبة وصل لا فصل. النوبة هي الواو الرابطة بين مصر وِالسودان، النوبة هي الجسر المصري إلى الجنوب الإفريقي المحبِ للنوبة والمُقَدِّرِ لحضارتِها وتاريخِها وجغرافيتِها. النوبة الثقافية التي ندعو لها ونتشبث بها، ثقافة عابرة للحدود، فحدود النوبة الحالية هي حدود ثقافية ممتدة للشمال والجنوب. فمصر والسودان لهما الفخر بنوبتهما الواوية. علما أنه من الثوابتِ تأثُرُ شعوبِ أفريقيا جنوبيْ الصحراء بالنوبة الحضارية وفخرهِم بها. والنوبة كما هي لإفريقيا فهي تحوي دماءً عربية، فكم أتت للنوبة جداول، وكم صدرت من النوبة جداول، وكلها مترعة بالتواصل الطيب.

كلمتي حقيقة كان يجب أن تكون عن الأدب النوبي، وما الأدب النوبي إلا رافدُ من روافد الثقافةِ النوبية، فهل أنا ابتعدت عن الثقافة؟ مطلقا. وهل سأبتعد في حماستي عنها؟ أبدا. فما الثقافة بمعناها الواسع سوى حزمة القيم والعادات والتقاليد، ما الثقافة بمعناها العميق سوى طرق التفكير وأساليب السلوك، ما هي إلا نوعياتُ ملبسٍ ومأكلٍ وتنويعاتُ من شِعرٍ يُطربُ ومَغْنَى، ورقصٍ يتثنى. ولثقافتنا السلوكية هذه أحبنا الشعب السكندري؛ لأن الطيبة تغلب علينا؛ لأن الأمانة أساس فينا؛ لأن السلاسة طبع يحوينا؛ لأنهم يحبون غناءنا ورقصاتنا فأدخلوهما في الزفة السكندرية الشهيرة. أليس كل هذا ثقافة نوبية أساسا، ثقافة دخلت قلوب الشعب السكندري الذي صرنا منه فأعطينا وأخذنا منه، فأضفنا بداخلنا معطيات سكندرية طيبة؟

أخيرا.. ماكاد النادي النوبي يتحمس لإقامة اليوم النوبي العالمي، وماكاد يعرض الفكرة على مركز الحرية للإبداع، حتى رحب المركز بكل إنسانية سكندرية مصرية، وماكاد النادي النوبي يعرض الفكرة على مؤسسة "مو إبراهيم"، حتى تحمست المؤسسة لتمويل هذا الاحتفال حماسة سودانية مصرية سكندرية. فالكل في بنية حب واحدة. النادي النوبي ناد سكندري، ومركز

الحرية مركز سكندري، وعائلة د. محمد فتحي إبراهيم، تربيةُ وتعليمُ سكندري ومازال أخوه د. أحمد فتحي إبراهيم بيننا في الإسكندرية.

ما أحلى التلاقي الثقافي المبني على الحب والتقدير. هذه أمسية إن قلنا عليها نوبية، فهي في نفس الوقت سكندرية مصرية سودانية إنسانية. وأتمنى لكم سهرة نوبية طيبة.

الإسكندرية 2011/7/7

ما أحوج الأقليات إلى قائد مثلك يا جارانج

بوركت يا جارانج. بوركت أيها المناضل الشجاع، المُحنَّكُ الذي استطاع أن يفهم لعبة السياسة كما يجب، ويوظفها لمصلحة شعبه المقهور. بوركت يا من استخدمت السلاح والتفاوض كل في وقته, فأجبرت الطاغوت أن يأتيك ساعياً ويجالسك ويبتسم لك وهو يكرهك، يبتسم لك بعد أن كان يتعالى عليك ويهددك! الطاغوت ومعه جيوش الدولة وجماهير من الرعاع الجهلة، وأكثرهم يختفي وراء ستارة الدين وعقولهم وقلوبهم، مثل القنبلة الحارقة متخمة بالغل والحقد وبراكين العنصرية. ضمائرهم ماتت بسموم التطرف والخزعبلات، الذين خرجوا على مفاهيم الإسلام وأصروا على أن يبدلوا دين ناس الجنوب بالقوة، وأن يعربوهم بالقوة، وفي نفس الوقت يبقوهم في مرتبة العبيد! أليسوا سوداً أصحاب رطانة؟!

سلطة الخرطوم العنصرية سفّاكة الدماء أحرقت قرى الجنوبيين بسكانها وشتتهم ظلماً وعدواناً مرة باسم الدين ومرة باسم الوطنية، وهاهم الآن يجلسون مذلولين مع شجعان الجنوب. هاهم يوقعون صاغرين اتفاقية السلام، ثم يعودون ليقيموا الحفلات في الخرطوم مدعين سعادتهم بالسلام؟ يا سلام! إن هذا السلام قبلوه صاغرين وقلوبهم في حسرة وأنوفهم مغروسة في التراب. أضاعت حكومات الخرطوم المتعالية سنوات وسنوات وسنوات في حروب عنصرية، فانهار كل السودان في الفاقة والتخلف. تخيلوا أن الخرطوم العاصمة ليس فيها صرف صحي ولا شبكة مياه؟! تخيلوا أن الكهرباء موزعة على كل منطقة من مناطق العاصمة المثلثة مدة ساعتين في اليوم؟! تخيلوا أن المنطقة النوبية ليس فيها طريق معبد مثلها مثل مناطق الجنوب والشرق والغرب؟! كل هذا التخلف والسودان من أغنى دول العالم بثرواته المتنوعة وشعوبه التي يغلب عليها السماحة والطيبة وسلاسة المعاملة، حتى وقعوا تحت حكام الطيش من عسكر مدعين مشيخة فلوثوا ينابيع الشعب الطيبة. حكام الخرطوم يحتمون في تأويلات دينية ليبرروا دمويتهم وعنصريتهم ضد الجنوب، بحجة أن الجنوب به نسبة غير مسلمة؟! بل لأنهم أي الجنوبيين غير عرب؟! وننظر في وجه من يدعون العروبة، فإذا بهم سود والملامح الزنجية فيهم! وهم أنفسهم أدعياء الأصل العربي حين ذهبوا إلى الخليج العربي ليعملوا فيه، واجهتهم العنصرية البدوية التي اعتبرتهم عبيداً؟! وهم أنفسهم السودانيون المتحمسون للعروبة، حين دخلوا الجامعة العربية جوبهوا بالرفض من لبنان خاصة على أن السودان سود الوجوه أفريكان! بل قال مسئول لبناني.. ما نريد عبيد! طبعاً كان المسئولون السودانيون وقتها من الشمال وليس من الجنوب.

الآن السلطة في الخرطوم تقيم الأفراح وكأنها كانت في الأصل تسعى للسلام! جهازها الإعلامي الساذج يمتلئ بالأناشيد وهتافات للتنوع الثري في السودان! الآن! الآن وبعد حروب نصف قرن؟! الآن وبعد أن لامست نصال الثوار رقابكم تنادون بالسلام ثم تدعون أنكم حكام سلام؟! يوما ما عله قريب سوف تتم محاكمتكم بسبب ضياع ألوف الألوف من الأنفس في مقتلة غبية، يوما ما عله قريب سوف تتم محاكمتكم بسبب المليارات التي ضاعت هباء منثوراً.

نعود لجون جارانج.. تقدم أيها القديس حاملاً راية الحق بالسلم وبالسلاح. أنت الجانب المكمل للقديس العظيم نيلسون مانديلا. أنت الجانب الإفريقي من المهاتما غاندي، فلك قضية لها

ظروفها وكل شعب له ظروفه وكل بيئة لها ظروفها، بل كل زمن وله ظروفه. وكل منكم أخذ معطيات شعبه وبيئته وأحوال العالم من حوله، ثم خرج بالأسلوب الأمثل، ومع أبناء وطنه الثوار حقق طموحات شعبه. لك التقدير والاحترام أنت وكل المناضلين الذين معك، أنت وكل مناضلي دارفور والمناضلين في الشرقية والشمالية. فليكن دين المناضل ما يكون.. ليكن مسيحياً أو مسلماً أو يهوديا أو بوذياً، ليكن ما يكون، لكن في أول الأمر ليكن وطنياً منتمياً لشعبه الخاص المضطهد، ثم لوطنه الكبير حين يعترف وطنه الكبير بخصوصية إقليمه الثائر، بخصوصية شعبه ويعاملهم على أنهم مواطنون مثلهم مثل غيرهم، ويتم تعويض شعبه عن كل العذاب الذي عاناه، وبعدها، وبعدها فقط يضع السلاح ويسترخي.

جارانج أنت وكل المناضلين الأمازيغ والأكراد والشيعة والتركمان والمسيحيين عامة والأقباط في مصر خاصة والنوبيين وكل أقلية في هذه البركة الآسنة العنصرية، البِركة المتخلفة من قرون التخلف من الخليج إلى المحيط، بوركت أنت وكل الأبطال المناضلون ضد المشعوذين باسم الإسلام والإسلام منهم بريء، الإسلام السامي المحب للإنسان، والمدرك لحريته ومسئوليته، برئ من دمويتهم وطغيانهم وانغلاقهم وقنابلهم وخناجرهم وتأويلاتهم المسمومة.

أقول.. الأقليات في الشرق الأوسط سيكون عليها أن تزلزل هذا الجمود الفكري الذي تحول إلى عطن. الأقليات بتنويعاتها عليها أن توقظ هذه المنطقة من أثقالها الغبية وتحرك الفكر لتنطلق وتلحق بالعالم من حولها الذي ينطلق بسرعة الليزر.

حكام المنطقة الطغاة من كان منهم يرتدي بذلة افرنجية ومن يرتدي العقال ومن يرتدي العمامة ومن يضع خنجراً في وسطه، كلهم، كلهم طغاة ولن يتزلزلوا إلا بالقوة. كلهم شرسون ولن يتواضعوا ثم يركعوا خانعين إلا إذا جابههم أمثال جارانج ومانديلا والشاعر النيجيري المشنوق كين سراويوا.

بوركت يا جارنج أنت وشعبك الجنوبي السوداني وكل الأقليات التي تصر أن تكون مواطنتها من الدرجة الأولى وتنال خصوصيتهم مكانتها، وترفض أن تكون مجرد رعايا وتحت رحمة الأغلبيات العنصرية الطاغية، وترفض أن تتلقي الفتات تحت راية التسامح الكاذب.

أقول لقومي النوبيين.. متى يظهر فينا جون جارانج، ويستطيع مغالبة حكومات مصر التي تضطهدنا من سنوات وسنوات وتجلب غيرنا ليستولى على موطننا؟ متى يكون لنا مركز حقوق إنسان يدافع عنا؟ متى يكون مؤتمرنا النوبي الأول؟ أقباط مصر يدفعون الآن ثمن نيل حريتهم الدينية، وثمن نيل حقوقهم كمواطنين مصريين، وإن كان بهم الآن اندفاع وعصبية، فكل هذا ردود أفعال للظلم العظيم الذي وقع ويقع عليهم من قرون وليس الآن كما يدعي بعضهم، ومن يتشكك فليقرأ التاريخ بأقلام المنصفين، فليقرأ كتاب هوامش الفتح العربي لمصر، تأليف سناء المصري. وحين يستمع المسئولون للأقباط ويتخذوا خطوات جادة لبناء الثقة، سوف يؤكد الأقباط أنهم يعملون على حل القضية القبطية من داخل الإصلاح المصري عامة, أي جزء من كل، وهذا ما أتمناه

للقضية النوبية، أن تتم خطوات بناء الثقة حتى يقتنع النوبيون أنهم فعلاً مواطنون مصريون، مثلهم مثل مهجري قناة السويس على وجه المثال، وأن ما قدموه من تضحيات لمصر لن يضيع هباء وينتهي الجحود البشع الذي يتجرعونه، يطمئنون بأنهم سينالون حقوقهم كاملة، حينها سوف يصرون ويؤكدون أن حل القضية النوبية يجب أن يكون من داخل عملية الإصلاح التي يجب أن تتم في مصر ومن داخل مصر. ونفس الشيء تماماً على نوبي السودان. فلا يوجد نوبي يقبل ضرر لأي من البلدين، بل كل نوبي يأمل في تكامل وتقدم شامل لهما معا، ثم لهما معاً ومع بقية بلدان حوض وادي النيل وكل الجنوب الإفريقي.

دفعت يا جارانج الثمن ودفع قومك الثمن، حينما تجبر عليكم حكام الخرطوم الطواغيت، بل واجبرتموهم على أن يدفعوا هم أيضاً ثمن طغيانهم عليكم فزلزلتم قواعدهم الواهية وفضحتموهم في كل أنحاء العالم. دفعت يا جارانج ودفع شعبك الثمن الباهظ لنيل الحرية ولهذا كان نجاحك. ومن يرفض دفع الثمن لن ينال نجاحاً، بل يكتفي بالبكاء والنحيب واستجداء الشفقة، والعالم لا يشفق على جبان، العالم يعجب بالشجاع العاقل الذي يريد حقوقه ولا يريد إرهاباً ولا ضرراً، الشجاع العاقل الذي يعترف بميراث الإنسانية كلها، ويؤيد كل تنوعات الشعوب العرقية والعقائدية والفكرية، يؤيد كل تنوعات الشعوب الثقافية.

العالم يتحمس لمن ينهض ويحمل رايته ويكون مستعداً للتضحية بنفسه أولاً، وبعدها يساعده العالم.

دمت بنورك يا جارانج ودام شعبك الجنوبي الإفريقي العظيم.

الجمعة 25 فبراير 2005 GMT 19:00:00

موقع شفاف الشرق الأوسط

المشهد النوبي الحالي وكيفية المواجهة

حين أعلنت الدوائر الحكومية عن بيع الموطن النوبي في المزاد، فإن هذا الإعلان يمكن تحليله لنصل إلى منطلقين انطلقت الحكومة منهما:-

1-أن محافظ أسوان الحالي ومن معه، يحاولون قطع الطريق على المؤتمر النوبي العام المزمع انطلاقه في أغسطس القادم. ونستنتج من هذا أن مؤتمرنا سيكون مؤثراً بعمق في مسيرة الحقوق النوبية إن شاء الله.

2-أن بعض المسئولين داخل الغرف المكيفة مستمرون في التصرفات الهوجاء التي لا تعي شيئاً عن واقع مصر، أو هي تعي مصلحة الفساد والمفسدين ومما ستعود عليهم هذه الأراضي من مكاسب حرام؛ ليزدادوا ثراءً ويزداد شعب مصر فقراً وانقساماً وفقدان ثقة في كبار المسئولين.

وعليه نرى أن موضوع بيع الوطن النوبي نقلة (كِشْ ملك) من كارهي النوبة ليقضوا على النوبة قضاءً مبرماً، بحيث بعدها يتهدل النوبيون وتنخسف كل تحركاتهم فيغرقون في اليأس وضياع الأمل، يصابون بالشلل الرعاش فلا تقوم لهم قائمة بعد ذلك إلى أبد الآبدين.

أمام النوبيين الآن طريقان لا ثالث لهما:-

1- إما طريق السلامة، طريق الكفاح الجريء فيتخذون خطوة هائلة تطيح بأعدائهم وتمهد واقعياً ونفسياً لخطوات إيجابية لاحقة، وهذا هو طريق السلامة وإن كانت النظرة المتعجلة والنظرة المرتعشة تظنان أنه طريق الندامة وجلب المتاعب.

2- إما طريق الندامة، طريق الاستسلام فتضيع النوبة ولا تقوم لها قائمة بعد ذلك. فبدايته استسلام جبان، يسمح للنوبيين بأن يبقوا في استرخاء وقتي، مثل المواشي التي تبقى في حظيرتها متبلدة وهي تتوهم السلام، ثم يأتي الغد بسكين الجزار ليذبحها؛ فتبرق عيونها في ذهول غبي وتندم حيث لا ينفع الندم. هذا الطريق الضائع يبرره الخائف المرتعش بأنه طريق السلامة؛ ليداري ما في قلبه من جبن أو ما يريده من مصالح خاصة تعم عليه هو وإن ضاعت النوبة. وهذه النماذج متواجدة في وسطنا النوبي، بل هي تتسلل إلى بعض هيئاتنا النوبية لتقودها إلى الضياع، وكل ما يهمها مصالحها كما قلنا. وأيضاً لتظهر بمظهر الشخصية العامة المهمة سواء بين النوبيين أو بين غير النوبيين.

الطريق الثاني الجبان سهل. لا يتطلب غير الصمت والاختباء، ويتطلب من المسئولين النوبيين مجرد أن يتحججوا بأن النوبيين عامة لم يقفوا وقفة رجل واحد، أو أن مصلحة مصر هي الأولى بالاهتمام، وهم يعلمون أن الأمر بعيد عن مصلحة مصر وأنه حقيقة مصلحة العنصريين والفاسدين وعنجهية بعض المسئولين، أو أن يقولوا إننا حاولنا ولم نفلح! هذا الطريق سبق أن اتخذه النوبيين طوال القرن العشرين وحتى الآن، ولم نكسب منه غير المهانات وتجبر المسئولين واستهاناتهم بنا، وآخرها إعلان بيع الوطن النوبي بالمزاد العلني!

الطريق الأول صعب به الكثير من العراقيل سواء أكانت عراقيل نوبية من الخونة النوبيين وهم كثيرون وإن كانت نسبتهم العامة ضئيلة، أم العراقيل التي سنجدها من المسئولين الحكوميين وغير الحكوميين ومحاولتهم إرهابنا. الطريق الأول طريق صعب تحفه بعض المخاطر الحقيقية والمخاطر التي نتوهمها رغم أنها غير متواجدة.

المخاطر الحقيقية:-

1- سوء الظن المتواجد في عقول الكثير من المسئولين ومن الشعب المصري عامة، تجاة المجتمع النشط النوبي، خاصة أن الاهتمام العالمي بالأقليات والعرقيات قد تزايد وأدى في بعض القضايا إلى انفصالات متوالية. وسوء الظن هذا يدفعهم إلى رفض ومجابهة مطالب النوبيين الشرعية.

ونحن معشر النوبيين نتهم هذه الفئة في ذكائها ونرفض جهلها وإن كنا لا نتهمها في وطنيتها المصرية.

2-مافيا الفساد المهتمة بابتلاع الوطن النوبي لمصالحها الخاصة دون النظر للبلاءات التي سيسببونها على مصر إجمالاً.

3-الصحف الصفراء التي تهتم بإشعال النيران لتبيع. فهي قادرة على تهييج عامة الشعب وبعض المسئولين ضدنا، ولا ننسى أن الوضع العام في مصر يعلي من الغوغائية والصوت العالي، وتنتشر في مصر عصابات التخوين كما انتشرت عصابات التكفير.

<u>المخاطر المُتَوَهَّمة:-</u>

1-جهاز أمن الدولة وإمكانية القبض على النشطين النوبيين، وقد ثبت بأكثر من دليل كذب هذا التوهم. ونرى أن وزارة الداخلية ستكون معنا، فهي وزارة مصرية وطنية ونحن مواطنون مصريون، وطالما كانت غايتنا نوبية مصرية فوزارة الداخلية معنا وليست علينا، بل ستعضدنا بالحماية والنصيحة.

2-أن النوبيين كنار القش، يهيجون ثم يخمدون سريعاً؛ وعليه فلا أمل وعلينا الارتكان إلى السلبية وترك نوبتنا تضيع. والرد على هذا الخاطر المُتَوَهَّم ذو شقين، <u>أولاهما:</u> إن سبب هذه الظاهرة أن المجتمع النوبي تضعضع نتيجة للتهجيرات المستمرة منذ عام 1902 فمرض وزاد مرضه بعد تهجير 64 الإجرامي، لكن مجتمعنا النوبي بدأ في الشفاء وإن كان حتى الآن يعاني من التهجير البشع ولم يستكمل شفاءه، <u>وثانيهما:</u> تلك النجاحات الكثيرة في المجال النوبي، مثل قرية السلام في صعيد مصر، والمجموعات الزراعية في النوبة الأصلية؛ خاصة مجموعة الأستاذ خبيري ومجموعة عم عبد السيِّد وغيرهما، واستمرار جمعية الإسكان النوبية؛ رغم كل العقبات الحكومية، ثم النادي النوبي الرياضي بحلوان وخطواته المذهلة. ومجموعة السويس، ومن قياداتها الدكتور إسماعيل عبد الحفيظ وتقدمها في إنشاء النادي النوبي وبالعمارة النوبية. وأيضاً الأدب النوبي الذي وصل إلى الكثير من المثقفين والمسئولين، وساعد على تحريك القضية النوبية من هامش المسكوت عنه إلى المعلن عنه، نشاط النوبيين في الخارج وإن كان لم يأخذ مداه المطلوب. وأخيراً لجنة المتابعة المنبثقة من تجمع الهيئات النوبية بالإسكندرية.

3-تقدم بعض القيادات النوبية الفاسدة, فمنها من تبحث عن مصالحها الخاصة ومنها من تبغي التباهي والظهور تحت الأضواء. تقدمت تلك القيادات ونجحت في احتلال بعض الهيئات النوبية والمجالس المحلية وغيرها.

4-انزواء الكثير من النوبيين الناجحين أكاديمياً وعملياً، يأساً من العمل في التجمعات النوبية البطيئة الحركة والمتجمدة فكرياً، بدون محاولة التجمع بينهم وبين بعضهم على الأقل لدفع العمل النوبي.

ونرى أن مجموعة العراقيل سواء أكانت نوبية أم حكومية، نرى أنها سهل التغلب عليها، فالخونة النوبيون بمجرد أن يتأكدوا أننا سنشهر بهم ونفضحهم، سوف يتراجعون فهم أصلاً جبناء وإن حاولوا أن يظهروا بمظهر القوة والثبات والهيبة. ونفس الشيء بالنسبة للمسئولين الحكوميين، فبمجرد أن يشعروا باتحادنا وقوتنا، وأننا سنصل بالقضية إلى المسئولين الحكوميين العاقلين الشرفاء، فسوف ينسحبون.

ولنعلم ونتيقن أن الحكومة لا تريد فتح القضية النوبية لأنها مثقلة بالقضايا الأخرى، وعلينا أن نفتح نحن قضيتنا النوبية بإلحاح ونرفض استمرار غلقها. وحين ننجح في فرض قضيتنا النوبية، فستضطر الحكومة أن تعطينا بعض مطالبنا، خاصة الموافقة على مطلبنا الأساسي وهو العودة.

الخطوات المقترحة

1-الاستمرار في التحضير للمؤتمر النوبي العام بالإسكندرية، في نفس توقيته وبإصرار أشد على النجاح إن شاء الله.

2-توحيد العمل النوبي قدر المستطاع، في محاولة لضم مجموعة من نوبيي السويس، مع مجموعة من عرب العليقات ومجموعة من نوبيي التهجير وأسوان والخارج وغيرها، بحيث نمثل غالبية النوبيين ونقطع الطريق على الخونة.

3-إيجاد مجموعة نوبية تنسق العمل النوبي، بالاستعانة بوسائل الاتصال الحديثة من تليفونات وفاكسات وبريد الكتروني، على أن تجتمع هذه المجموعة دورياً.

4- غض النظر عن إعلان مدفوع الأجر في جريدة ما، حتى لا ندفع مبلغاً كبيراً سوف نتعب في تجميعه، خاصة أننا مقبلون على جمع المال لتغطية تكاليف المؤتمر وما بعد المؤتمر. والبديل القوي هو..

تحرير مذكرة نوبية موجهة إلى رئيس الجمهورية، مذكرة جريئة عاقلة تحوي الآتي:-

أ- القضية النوبية في أسطر سريعة، والتركيز على موضوع البيع بالمزاد، ومدى الضرر الذي سيتسبب فيه هذا المزاد لمصر إجمالاً.

ب-توضيح سوء تصرف محافظ أسوان الحالي، وفضحه برأيه الخاطئ في البناء الرأسي وتهديده بأننا إن لم نوافق على خطئه فستبقى قضية النوبية أربعون عاماً معلقة مثلما مضى عليها أربعون عاماً ساكنة. وأنه في إهانته للنوبيين يفعل مثلما فعل محافظ أسبق أهان النوبيين ونعت أحدهم بلفظ (البربري) مما أهاج النوبيين وأحرج الحكومة واضطر وقتها رئيس الوزراء الأسبق الفريق كمال حسن علي للاعتذار.

ج-إن قطاع نوبي خاصة الشباب، انفعل ويحاول إقناع بقية القطاعات النوبية بالموافقة على تنظيم مسيرات واعتصامات نوبية متزامنة مع تحريض الإعلام العالمي على تغطيتها على أننا أقلية عرقية. ونحن كغالبية نرفض هذا الرأي كما رفضنا عام رصدنا كأقلية في مؤتمر الأقليات. ورغم تضحياتنا وصبرنا، يضعنا محافظ أسوان الحالي والمسئولون الذين يتصرفون بدون حكمة في حرج بالغ، أما شبابنا والقطاع المندفع فينا، فتارة يعرضون الأرض النوبية على المتضررين من قانون المالك والمستأجر في محافظة المنيا، ثم لجنة في مجلس الشورى تقرر أن الأرض النوبية لفقراء الصعيد/ ثم الآن يعرضونها للبيع! علماً بأن المساحات الهائلة التي ستعطى للشباب المصري من مشروع توشكى، تم تجاهل النوبيين تماماً والمشروع كله يقام على أرض نوبية! هذه التصرفات الطائشة تشعل الشباب خاصة وتدفعهم يأساً للمطالبة بالتظاهرات والاعتصامات وإعلان أننا أقلية مضطهدة.

ونحن نؤكد أننا نؤمن بالحل الداخلي العاقل المتفهم، بعيداً عن التهور النوبي وبعيداً عن القرارات الهوجاء من بعض المسئولين.

5-تحرير مذكرة نوبية للنشر في وسائل الإعلام المصرية، تكون مكملة لمذكرة رئيس الجمهورية ولا تتعارض معها ولا توضح كل ما كتبناه للرئيس. حتى لا تكون مذكرة الإعلام تحدياً للرئيس.

6-تشجيع كل النوبيين في كل مصر وخارج مصر، سواء بالعمل الفردي أم الجماعي، أن يرسلوا لوسائل الإعلام وللمسئولين خطابات وفاكسات وبالبريد الإلكتروني معترضين على إعلان البيع وعلى سوء تصرفات محافظ أسوان الحالي.

الإسكندرية في 17 يونيو 2004

عضو لجنة المتابعة المنبثقة من الهيئات النوبية بالإسكندرية

<u>فكرة:- ضرورة إنشاء متحف عن مأساة النوبيين في العصر الحديث</u>
<u>(متحف التهجيرات النوبية الأربعة "اسم مؤقت)</u>

الغرض:-

1- متحف يجسد مأساة التهجيرات الأربعة وينشرها في الكون.
2- تنشيط الذاكرة الإنسانية ودفعها للعمل وإعادة حقوق النوبيين، سواء أكانت الحقوق الجغرافية أم التاريخية أم الثقافية أم التعويضية.
3- بث روح الفخر والثقة في النفس بين النوبيين.
4- بند فاعل لتنال النوبة موقعها بين ثقافات البشرية.
5- محاكمة المسئولين عن التهجيرات الظالمة، ليكونوا عبرة في التاريخ الإنساني.

موقع المتحف

جنوب السد العالي. المنطقة النوبية، المكان الأصلح الذي يمثل النوبة كلها شمالية وجنوبية. ويفضل المنطقة التي تتحمس حكومتها مع المشروع، فوجود المتحف هو المطلوب. وإن كان من الأفضل من وجهة نظري وجوده في منتصف المسافة بين أسوان ومدينة "أبو سنبل". حيث سهل قرية توماس وعافية لأنها في منتصف المسافة. وليس مطلوباً أن تتركز السياحة والمشاهد السياحية والترفيهية في منطقة واحدة، فتشغيل منتصف المسافة تشغيل لكل المنطقة خاصة أن أسوان في الشمال و"أبو سنبل" في الجنوب.

المبنَى

المتحف يكون على هيئة خريطة المنطقة النوبية وامتدادها على النيل الأصلي. أي النوبة الأصلية قبل الخزان والسد العالي. ويكون النهر رمزاً مائياً يأتي من الجنوب ليمر داخل المتحف ويستمر شمالاً. الزوار يعبرون على جسور تكون لها هيئة الخزان والسد العالي، مع وجود نماذج من أهم الآثار النوبية (أهرامات مروي ومعبدي "أبو سنبل" مثلاً) متناثرة على مواقع تمثل مواقعها الأصلية. المبنى الرئيس على شكل البيت النوبي الأصلي، ومن الداخل يكون أقرب ما يكون من البيت النوبي أيضاً بما فيه الحوش السماوي.

المحتوى

1- داخل المعبد ممر ضيق نسبياً، يفضي إلى صالة واسعة وسطها شاهد مجسد للنوبي الشهيد، شهيد خزان أسوان وتعليتيه. وعلى جدران الصالة تكبير لصور حقيقية لمعاناة التهجيرات الأربعة النوبية، والكتابات التي تعبر عن المأساة النوبية، مع شرح لقضية النوبة بالعربية وباللغات الأخرى مع ترجمات باللغة النوبية. ومبالغ التعويض التي نالها النوبيين وبيان لبخسها.
2- صالة بها نموذج لخزان ونموذج للسد العالي. والمياه وهي تغمر تحتها القرى النوبية كلها.
3- على الجدران نماذج شاسعة للصور الحقيقية لمأساة التهجير مع الشرح بكل لغات العالم.
4- صالة للفنون التشكيلية النوبية التراثية، مع الآلات الموسيقية ونماذج للسواقي والشواديف والمزاول والأبواب والجدران النوبية.
5- صالة للفنون الحديثة التي أنتجت داخل النوبة الأصلية والتي تأثرت بها، والتي تعتمد على الخلفيات والفنون النوبية، سواء أكان ذلك لفنانين نوبيين أم سودانيين أم مصريين أم غيرهم.
6- صالة عرض سينما. أفلام قصيرة تسجيلية وروائية عن النوبة، وأيضاً تسجيلات صوتية وضوئية لكبار السن الذين يحكون عن التهجيرات البشعة ونتائجها.
7- صالة لبيع نماذج لكل ما في المتحف من مقتنيات. مع الكتب والمجلات والصحف (حتى القديم منها يوجد نسخ له) واسطوانات c.d و dvd.
8- جدار الشهداء. ينقش فيه أسماء من ماتوا خلال التهجيرات وبعدها، خاصة بعد الترانسفير الأخير إلى صحراء كوم أمبو، فكبار السن ماتوا من الصدمة وصغار السن ماتوا من المياه الملوثة.
9- جدار الخونة. جدار ينقش فيه أسماء النوبيين الذين باعوا ضمائرهم وباعوا أهلهم وكتبوا وشاركوا في محاولة قتل النوبة وتلويث كل نوبي حاول أن يطالب بحقوق النوبيين. ويتم نقش أسماء النواب النوبيين الذين دخلوا مجلس الشعب وقبله البرلمان، وأيضاً أسماء الذين دخلوا نواباً في المحليات ولم يقوموا بواجبهم. فقط اهتموا بمصالحهم الخاصة.

ملاحظات

1-من لهم القرار بالكيفية التشكيلية، هم فناني النوبة التشكيليون.

2-تكلفة التنفيذ مسئولية العالم كله.

حجاج أدول

إضافات:--

عندما زرت متحف الهولوكوست في واشنطون، خرجت بتلك الإضافات:-

-كتاب كفاحي تم وضعه في المتحف دليلا على عنصرية هتلر. وأيضاً توجد صور لهتلر في الكثير من المواقف.

ووضعوا صوراً لغرف الغاز.

لذا في متحف التهجيرات الأربعة علينا أن نرصد البروبوجاندا الناصرية والشبه بينها وبين البروبوجاندا الهتلرية. نضع الكتب الكاذبة التي أصدرتها الحكومات المصرية عنا. وصور تفجيرات السد وبناء السد عامة، مع صور التهجير وبؤس الناس عند الرحيل وبعد الوصول إلى مناطق التهجير، صور القرى المزيفة في كوم أمبو بالمساكن الزنازينية. مأساة الوجود في المدن الكبرى، مع كشوفات الموتى من كبار السن والأطفال في سنوات التهجير الأولى. صور الصفحات التي كتبتها بعثات تقصي الحقائق التابعة لمجلس الشعب التي تبين الظلم حتى لو حاولت التخفيف منه وتلفيق الأعذار للحكومات. وأيضا أهم المقالات التي كتبت في الجرائد المصرية والتي تبث العنصرية والتعالي على النوبيين، ومشاهد مصورة من الأفلام والمسلسلات المصرية التي تتضح فيها العنصرية ضد النوبيين الخ.

-وضع نموذج كبير للبيت النوبي القديم، مقابل نموذج للبيت الأسمنتي في الهولوكوست النوبي. وبيان عبقرية البيت النوبي الأصلى وسفالة البيت الزنزانة الجديد. مع بيان الأبعاد والمواد وعيوب الأراضي وصور من البيوت التي انهدت بسبب سوء البناء وعشوائيته مع صور مكبرة لتقارير لجنة تقصى الحقائق من مجلس الشعب، وصور للبيوت بعد عدة سنوات وصورة البيت النموذجي الذي لم يبنوه.

4 ديسمبر 2006

*يوجد في جنوب إفريقيا (متحف التمييز العنصري)

*يوجد متحف أيضاً في بنجلاديش، يبين المجازر التي ارتكبتها باكستان بشعب بنجلاديش.

الهدف.. اغتيال نبرة تاري!

نفرتاري، عندنا هي نبرة تاري. ومعناها باللغة النوبية، الذهبية الآتية. تزوجها رمسيس الثاني الفرعون العظيم، فمنحها قدرها الذي تستحقه بالنسبة لكونها امرأة من الجنوب الذي يعتز

بالمرأة ولم تكن ولن تكون مجرد حرمة حرمة تُرمَى في الحرملك البدوي التركي. بني لها معبداً معترفاً بخصوصية الجنوب التي هي جانب من جوانب مصر وقد ارتضى النوبيون ذلك.

لكن طوال القرن العشرين وحكومة مِصر مصرة إصرارا غريباً على هدم فحوى ومعنى معبد نبرة تاري. وذلك بإصرارها على تشتيت النوبيين ووضع العراقيل في طريق عودتهم إلى موطنهم، بل وصل الأمر بوزير الأشغال والموارد المالية أنه أصدر فرمانات أن لامياه لزراعة المنطقة النوبية، أما عذره فهو أن الدلتا وسيناء تحتاج إلى هذه المياه! ألا يكفي أننا غرقنا من أجل مصر، لا.. بل المطلوب منا في القرن الواحد والعشرين أن نموت عطشا من أجل مصر! وكأننا الحائط المائل، وكأننا ذرات تراب لكل مسئول ولكل من له مزاج أن يطأنا، عليه أن يطأنا في أي زمان وأي مكان.

وشارك المسئولون بعض العقول الضعيفة الوسواسة التي يزعجها أي إشارة إلى النوبة سواء أكانت داخل مصر أم خارجها. تعتقد أن كل معرض عن الحضارة النوبية تقبع خلفه CIA، والأدب النوبي هو في الحقيقة مخطط لضرب الوحدة الوطنية، وأي محاولة للنوبيين للعودة إلى موطنهم هو مؤامرة انفصالية. من يتحدث عن الأدب النوبي فهو يدعو للانقسام. لم يسائل أحدهم نفسه.. هل خان نوبي مصر قبل ذلك؟ هل حمل النوبيون سلاحاً ضد الحكومة، رغم كل هذا الظلم البين الذي يقع عليهم طوال القرن العشرين ؟ هل أنكرت أي مجموعة نوبية مصريتها؟ هل طالبت أي جمعية نوبية بالانفصال؟ العكس تماماً. تمسك النوبيين بمصريتهم في الداخل والخارج تمسكاً عضوياً. لم تحاول أي مجموعة نوبية عمل حزب أو أي تجمع ما يتحدث باسمهم سياسيا. ونفس هذا يفعله نوبيو السودان. لم ولن يكونوا حزبا سياسيا أبداً؛ هذا لان النوبيين ليست لهم أية تطلعات سياسية خاصة. لهم فقط ثقافة فرعية خاصة يحبونها.

النوبة جزء من كيان الوطن. جزء من بدنه. والخنجر الغاشم الذي يتم رشقه في النوبة، هو في ذات الوقت يرشق في جسد الوطن المصري كله. مصر بنوبتها بنيان مرصوص. ومن يظن أن هدم النوبة هو في صالح مصر، مخطئ. مخطئ تماماً. بل هو يرتكب خطيئة كبري ضد مصر. لأنه يعمل على خلخلة الانتماء إلى مصر. يضع الشك في قلوب النوبيين تجاه بقية إخوانهم المصريين. يضرب حقوق النوبيين كمواطنين مصريين. وإن اهتزت الحقوق اهتزت الواجبات.. اهتزت المواطنة. أي أنه يؤدي ويمهد إلى الشيء الذي يظن أنه يعمل على تجنبه.

لقد فعل الموظفون والكارهون لنا الكثير من الخطايا. أعددت بعضاً منها :

1- محاولات توطين غير النوبيين في الهضبة النوبية.

2- إغراق اسم بحيرة النوبة ووضع اسم بحيرة ناصر بدلا منها.

انتهى المقال عند هذا الحد!

كلمة في قرية أبو هور

تمهيد للمقال

لبيت دعوة من لجنة متابعة القضية النوبية بأسوان وقرى التهجير، دعوة للقاءات شعبية بقرى التهجير ومدينة أسوان. سافرت بالطائرة ظهر الخميس 19 مايو 2011، وكان اللقاء الشعبي الأول في قرية المالكي في مساء نفس اليوم. ثم لقاءات متوالية بقرى التهجير والمناطق ذات الكثافات النوبية بأسوان، انتهت بلقاء بقرية دابود مساء 28 مايو، ثم عودة إلى الإسكندرية ظهر الاثنين الموافق 29 مايو 2011، أي أن مدة بقائي كانت عشرة أيام، وقد تمت تسعة لقاءات ولم نسترح إلا ليلة واحدة كنا في زيارة لبحيرة النوبة مع عدد من النشطاء النوبيين بعضهم من لجنة المتابعة والكثير منهم خارجها لكنهم لا يقلون حماساً عن أعضاء اللجنة، بقينا على ظهر مركب لرجل الأعمال النوبي عادل أبو بكر، وهو عضو نشط في لجنة المتابعة بأسوان، علما بأننا كنا في لقاءات نهارية مستمرة، وبعد اللقاءات الشعبية الليلية كنا نعود إلى منشية النوبية أمام مقر الصديق النشط النوبي أبو السعود حمدتة عضو لجنة المتابعة، ولا نذهب للنوم قبل الرابعة فجرا. وقد جرت

مياه غزيرة متدفقة في نهر الحِراك النوبي، خلال تلك الأيام وما بعدها سوف تعلن على النوبيين صوتاً وصورة. إنها بدون أي شك الموجة الثانية من الصحوة النوبية. الصف الأول من النشطاء كان من الشباب ومعهم النشطون القدامى من لجنة المتابعة وغيرهم، وأرصد هنا اثنين من القوى النوبية أضافا زخما نوبيا مرصودا، الصديق رجل الأعمال جمال سرور، وهو من أهم النشطين النوبيين المقيمين في باريس. والصديق الفنان المخرج أحمد عواض. كانا نعم النوبيين.

قبل سفري إلى النوبة عقد مؤتمر حوار شعبي بقيادة د. ممدوح حمزة. هذا الحوار استنزف مني الكثير من الجهد، وأيضا اتصالات كثيرة لم تعطني الفرصة لكتابة كلمات ألقيها في اللقاءات المتوقعة، أو حتى كتابة خطوط عريضة، فقط استطعت كتابة كلمتي التي سوف ألقيها في قرية أبو هور. بقية اللقاءات كانت شفاهية بدون أي إعداد جيد مسبق. والآتي كلمتي التي ألقيتها في قرية أبو هور.

((((()))))

بسم الرحمن الرحيم. بسم الرب الكريم الخالق العظيم

ونصلي ونسلم على رسولنا محمد بن عبد الله الذي أنْزِل رحمه للعالمين.

(شكر لقرية أبو هور. وإشارة إلى شهداء النوبة خلال ثورة 25 يناير 2011، واسم شهيد أبو هور، أبو بكر عبد الرحمن حسن. وتنويه أن قرية أبو هور استقبلتنا عام 2006 رغم بطش أمن الدولة وقتها)

أيها النوبيون الكرام. أنقبل المذلة وقد ولدتنا أمهاتنا أحرارا؟ أنقبل الإهانات ونحن المعروفين بأننا النوبيون الأبرار؟ أنقبل أن يتحكم فينا مسئول سواء أكان رئيسا للجمهورية أم رئيسا للوزراء أم موظفاً بسيطاً يقال عنه محافظ؟ كيف؟ لن يحدث. لن يحدث. وإن حدث رغماً عنا في سنوات القهر خلال القرن العشرين، فلن يحدث اليوم ولا غداً. اليوم نناضل لنستعيد كرامتنا بكل ما نملك، والغد هو غد العودة النوبية الكريمة. غدا العودة النوبية حول بحيرتنا النوبية إن شاء الله.

أيها النوبي الأبي..

*كنت في صمتِك مُرغم.

تتألم.

فتعلم كيف تغضب.

كنت في تهجيرك مُجبر.

تتألم.

فتعلم كيف تثور. كيف تَهْدُر.

أيها النوبي خسرت القرن العشرين، فتعلم كيف تكسب قرننا الحادي والعشرين.

أيها النوبي قدمت الطيبة فاعتبروها سذاجة، فتعلم كيف تَمْكُر.

أيها النوبي أنت ذكي فاستخدم ذكاءك أكثر من استخدامك طيبتك، فالطيبة في غابة الخبثاء يقال عنها سذاجة.

أيها الشعب النوبي، كتبوا عليك الألم لسنوات طالت لقرنٍ وأكثر. تألمت وحدك ليهنأ الآخرون، فسعدوا بآلامك وفرحوا بعذاباتك، وبدلا من أن يشكروك.. جحدوك وسخروا منك، وحين طالبت بحقوقك لعنوك.. وشككوا في وطنيتك! شككوا في وطنيتك رغم أنه لم يخرج من بينكم خائن لوطننا المصري. أيها النوبي الأبي.. كيف يُخَوِّنون من لم يخونوا؟ هم الخونة وليس نحن؟ كيف يتعالون علينا ونحن الأعلى؟ كيف يتهموننا ونحن الذين ضُحِي بنا من أجل مصر ولم يضحّوا هم، كسبوا من إغراقاتنا مرات ومرات ومرات، ثم يتعالون علينا ويتهموننا ويسخرون منّا في وسائل الإعلام؟! ألا لعنة الله على الظالمين. ألا لعنة الله على المستعمرين. ألا لعنة الله على كل عنصري زنيم.

نحن النوبيين.. وطننا الأصلي هناك خلف السد. أيها الشعب النوبي الأبي. كتبوا عليك الهجرة المُرة، الآن.. الشريحة العنصرية في مصر، الشريحة الحقيرة التي تحاول إغراقَكم في مرارات جديدة، اكتبوا عليها هي الحياة المُرة. اكتبوا عليها التعاسة، فهي التي بدأت بالشر. وعلى الباغي تدور الدوائر.

إذن أيها النوبي.. نحن في عصر العزة والكرامة. نحن في ثورة الشعب المصري العظيم ونحن أصل من أهم أصوله. شاركنا جميعا في الحروب وفي الثورات الوطنية. أيها النوبي المصري، لا ترضى بأن يُنتقص من حقوقك حق. أنا النوبي أقبل أن أفقد حياتي ولا أفقد كرامتي. وكرامتي هي أن أنتزع حقوقي كإنسان، انتزع حقوقي كمواطن نوبي مصري شريف. حقي الأول.. حق العودة ولن أرضى لعودتي النوبية بديلا. أيها النوبي الكريم.. من يعمل على استمرار إيلامك، فاكتب عليه أن يتألم هو ولا تتعجل في المصالحة. لا تصالح كل عنصري حقير، ولا تصالح كل من يتعالى عليك، ولا تصالح كل من يعمل على استعمار موطنك. بل لا تصالح كل نوبي خان نوبتُه لينال بخيانته ثمنا بخساً.

أيها النوبي.. من يحاول السخرية منك اقطع لسانَه، ومن يَلق عليك حصاة شج رأسَه بحجرٍ. أيها النوبي لا تتألم وحدك بعد اليوم، فإن كانت الآلام مازالت مرصودة عليك، فسطرها وارصدها أيضاً عليهم والبادي أظلم.

إذن أيها النوبي.. من اليوم اخلع ثوب المظلوم واستعد بثوب إدعاء الظُلم حتى تسترد حقوقك. من يتساءل كيف قناع الظلم ونحن لا نحب الظلم؟ أقول له.. وكيف ظلمونا قروناً عديدة

ويريد البعض استمرار الظلم علينا؟ كيف هم مصرون على سرقة أراضينا حول البحيرة وبيعها للسفلة الأقذار؟ أقولُ للمتسائل.. قل لهم اتركوا الظلم وادخلوا في الحق ليترك النوبي نية الظلم ويتقبل الحق. أقول.. علينا أن نستعدَّ بثوبِ لمعانُه ظُلم وفي حقيقتِه ثوب الردعِ، ثوب التهديد والوعيد لكل من يعمل على ترسيخ ظلمِنا وسلب حقوقِنا. أقول من اليوم أنا النوبي الذي انتفض وخلع ثوب الانصياع وارتدى ثوب المقاتل. النوبيِ الذي مع جلبابِه الأبيض المسالم يمتلك ثوباً من جلد السباع والنمور، النوبي الذي ظهر بسماحته فسخروا منه وحقرّوه، الآن يتمترس النوبي بدرعه التاريخي ويلوِّح بحربته التليدة. النوبيُ الآن إن لم ينل حقهُ يقول جاء وقت القوس والسهام. الآن النوبي المنتصب على ربوة الحق مدافعا عن موطنه يصيح.. من يقترب من موطني فقأت عينه بسهم، فأنا حفيد رماة الحدق. أنا ابن مينا وترهاقا أنا ابن كوش ونباتا أنا.

اليوم نودِّع النوبي الطيب السلبي فقد انقضى عهدُه، واليوم يولد النوبي الطيب الإيجابي. اليوم يولد النوبي الطيب وقت الطيابة، الشديد وقت الشدة، الشرس وقت النزال. اليوم نودّع نوبياً طيباً كانت طيباتُه تُعد في غابة الذئاب خنوعاً وخضوعاً، وعند الخبثاءِ سذاجةُ، فأكلوا طعامَه واستباحوا موطنَهُ ونالوا من عِرضِه. اليوم يولد النوبي المؤمن بخالقه العادل المتين، اليومُ يومٌ النوبيِ الواثق أن أغلب شعبِه المصري لن يرضى له بالظلم، ويعلم النوبي أن أغلب شعبِه المصري يعلم مأساته وسوف يعذره إن ثار، بل سيقف معه مقاتلا تلك الشريحة العنصرية الفاسدة التي تؤذي عموم مصر الطيبة.

صَبَرَ النوبي طويلا طويلا طويلا ولم يعد في جعبته صبر، لم يعد في جعبته متسع لصبر. الآن الصبر الزائد جبن متخفي تحت غطاء صبر. اليوم جعبة النوبي ليس فيها صبر، بل فيها سهام. النوبيُ الآن يقف ثابتا راسخا واثقا، يقف بكفِ مبسوطة، مصافحةِ بالسلام وفي يساره سيف الدفاع إن اضطر سوف يستخدمه. اليوم النوبي يقول بكل ثقة.. من أقبل علي سِلما أسرعت إليه هرولة وآخذه بأحضان الأخوة والوطن الواحد، فأنا منهم وهم أحبابي. ومن أتاني مُسْتَعْمِرا، فله سيفي ورمحي ونشابي وسبابي.

أيها النوبي الأبي.. ألا بُعدا لسنوات الخنوع، ألا بعدا لمآسي التهجير، ألا رفضاً للصمت المَهين. أيها النوبي الطيب القوي، أهلا بسنوات النضال ومرحبا إن اضطررنا للقتال. القتال قتال القانون. والحرب حرب صمود النوبة الصلبة الصلدة، والنضال كسبُ للرأي العام المصري والعالمي. والنزال هو الوقفات الاحتجاجية والمظاهرات السلمية. سهامنا وأقواسنا وسيوفنا خمسة ملايين نوبي معهم ملايين ملايين من مواطنيهم المصريين، سيقفون معنا لننال حقوقنا في بلدنا المصري الذي ارتضيناه موطنا. والمستقبل سوف يأتي بأسلوب قتاله حسب ظروفه.

اليوم الحب بالحب والاحترام بالاحترام. اليوم إن نلنا العدل، نعطي الوطنية المخلصة. واليوم أيضا إن انتفى العدل.. فالصاع بالصاع والذراع بالذراع. القوةُ بالقوةِ والمعاركُ قصاص ونحن فرسان رماة الحدق. لن نكون الصاغرين المستسلمين بعد اليوم. من يريد ظُلمَنا ظَلمناه ومن يريد فهمنا فهمناه، ومن تقوَى بنا تقوينا به واحتضناه. فنحن السلاسة والسلسبيل لمن احترمنا،

ونحن القتال الوبيل لمن تهجم علينا. لن نقبل أن يأتينا مسئول أُلعبان غازيا متبجحًا قائلا في تعالٍ.. سوف نحتل موطنكم النوبي قطاعاً قطاعاً وقرية قرية ونجعاً نجعاً وزنقة زنقة. لن نسمح بقذافي مصري ينتزع منّا موطننا النوبي، ولن نقبل بخبيث يأتينا ثعبانا ملمسه ناعم وسمُّه زعاف. لن نقبل من يأتينا بالأحضان مقبلا الرءوس رافعا شعار كلها مصر، وهي مقولة حق يُراد بها باطل، يقولها ليسخر منّا فيبتلع موطننا ويقدمه لعصابة لصوص بحجة الاستثمار! وبالطبع له سمسرته الملوثة بالخيانة.

أيها النوبيون الأحرار.. لن نتألم وحدنا بعد اليوم. لن نبكي على أنفسنا محسورين محصورين محاصرين بعد اليوم. فلنصب الألم على اللصوص والعنصريين، فلنجعل شلالات الآلام على كارهينا. وفي نفس الوقت نحن مع عموم الشعب المصري، آمالهُ آمالنُا وآلامُه آلامُنا. نحن كفرنا باللصوص والمدعين، ولم ولن نكفر بوطن مصري يحترمنُا ويقدُّر خصوصيتَنا التي هي قوة له وفخرٌ.

أيها النوبي..

*كنت في صمتِك مُرغم.

فتعلم كيف تَهْدُر. تعلم كيف تكتسح أعداءك. تعلم كيف تنجح. تعلم كيف تفلح. أيها النوبي مهضوم الحق.. أساسا لن يَحميك إلا ذراعُك. لن يحمل كاهلك أساساً غيرُ ساقِك. لن يشعر بك سوى قلبُك. أيها النوبي إن استعنت بالأسباب فأنت تستعن بالله. أسباب النجاح والفلاح.. وحدةٌ راسخة وعقل يعمل ودرهم يُستثمر وتفاؤل منير، وبعدها نتجه إلى الله طالبين منه المدد. ولن يضيعنا الله طالما نحن نأخذ بالأسباب ولا نتواكل، بل نتكل عليه خير اتكال. فنعم بالله الذي خلقنا قائلا لنا بسم الله الرحمن الرحيم.. وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ. الله. الله. الله. خلقنا وقال لنا.. أنتم مكرمون مني، فعلينا ألا نترك عبداً يذلُنا مهما رفع من شعارات. فهل نتقبل التكريم الإلهي ولا نكون عبيدا إلا للخالق العظيم، أم نُحني رقبةَ الكرامةِ التي خلقها لنا الله في اعتدال، لا. لن نحنيها لكل مسئولِ وضيعِ بطّال؟

أيها النوبي الأبي. اليوم يوم الموجة الثانية من الصحوة النوبية. اليومٌ يومُ بداية العودةِ إن شاء الله. والسلام على أهل السلام.

الإسكندرية 15 مايو 2011

4 سبتمبر 2010

تصوُّر للاعتصام المرجو، بعدما تم تجديد بقاء محافظ أسوان الحالي اللواء مصطفى السيد، مما يعني إصرار السلطة على الاستمرار في مفهومها التآمري لإفشال حلم العودة النوبية

****

نحن معشر النوبيين كُتب علينا النضال المتواصل لاستعادة موطننا النوبي بالطريق الصعب، ذلك لإصرار السلطة المصرية على خطتها التآمرية التي تهدف طرد النوبيين من موطنهم وتذويبهم.

بعد اشتعال ثورة مصر الشعبية يوم 25 يناير 2011 التي شاركنا فيها كنوبيين مصريين، ازددت تفاؤلا بنجاحنا في تحقيق حُلم العودة النوبية، هذا رغم توالي القرارات المتعسفة، التي تؤكد أن السلطة المصرية، مازالت مصرَّة على تنفيذ مؤامرتها التي تقضي بتذويب النوبيين وسط الأغلبية غير النوبية، وهي مؤامرة صِيغت في خمسينيات القرن العشرين، خلال حكم جمال عبد الناصر. وبالفعل تم تنفيذ مرحلتها الأولى بطردنا من موطننا بحجة بناء السد العالي، رغم إمكانية بناء قرانا في مستوى أعلى من مستوى مياه البحيرة، تماما مثلما تم رفع معابد النوبة. ومن سنوات يتم توطين غير النوبيين في موطننا النوبي، والإصرار على عدم عودتنا رغم كل ما قمنا به من محاولات للعودة، ورغم وضوح حقنا الإنساني والوطني حسب دستور وقوانين الوطن ومواثيق حقوق الإنسان، وأيضا رغم اقتناع وتأييد عودتنا من أعداد تتكاثر كل يوم من مواطنينا المصريين.

<u>القرارات السُلطوية الأخيرة:-</u>

1. الإسراع في خطة استكمال مساكن كركر، التي فُرِضت علينا فرضا، رغم اختيارنا لأماكن مناسبة حول بحيرتنا النوبية. ومن تداعيات اختيار كركر:-

a. حصر النوبيين في منطقة ليست بذي زرع، وتسكين ما قيل عنهم "المغتربون" وهم النوبيون المُهجرون في مدن الشمال في وقت إجراء الإحصاء الذي نفذته السلطة قبل بناء السد العالي مباشرة. وبما أنه لا أرض زراعية سوف توزع مع مساكن كركر، فسوف يضطر المغتربون أن يستلموا مساكنهم ثم يغلقونها أو يبيعونها أو يأجرونها، وفي الحالات الثلاث لن يبقوا هناك، وهذا هو الهدف السلطوي من البناء في كركر، ورفض تسكين القطاعات النوبية التي حددها النوبيون أولا وهي "شباب الخريجين، المعدمين، الفك الأسري، صغار المستثمرين النوبيين" وهم الأكثر استعداداً لتعمير الأرض والبقاء فيها.

b. دق إسفين بين النوبيين، فمنهم من سيعارض لأن المنطقة ليست من اختيار النوبيين، وهي تعرقل حلم العودة النوبية، فالمساكن لا ترافقها أراض زراعية لتوطين من يستلمها. ومنهم من سيوافق على مساكن كركر، لأنها قريبة من مدينة أسوان،

وستكون ضاحية جيدة وبالإمكان بيعها، خاصة أن كل مسكن يشارك فيه أكثر من وريث؛ مما سيتسبب في مشاكل من الذي يسكن ومن الذي لا يسكن.

c. مشروع كركر ما هو إلا بيان كاذب للرأي العام المصري والعالمي، بأن السلطة المصرية قد أعطت النوبيين حقهم، وبذلك انتهت القضية النوبية بطريقة عادلة! وفي حال اعتراض النوبيين، فسيكون موقفهم أمام الرأي العام موقفاً ضعيفاً، أو هكذا يظن من خطط لهذه المؤامرة.

2. قرار مجلس الوزراء " وزارة د. شرف الأولى" بتخصيص 3ر700 فدان (ثلاثة آلاف وسبعمائة) في مشروع توشكَى، ومشروع توشكَى بعيد بكيلوامترات عن البحيرة النوبية التي يطالب النوبيين بالعودة حولها.
3. قرار وزير الزراعة السابق بتخصيص 3000 "ثلاثة آلاف" فدان للنوبيين في درب الأربعين. وهو أبعد ما يكون عن البحيرة النوبية.
4. تثبيت محافظ أسوان الحالي لثاني مرة؛ ليستكمل خطة إفشال حُلم العودة النوبية، عن طريق استكمال مساكن كركر، ولأنه صار على معرفة بالكثير من التفاصيل عن القضية النوبية، ويعمل على ضرب النوبيين بعضهم ببعض.

عاليه خطوات تبين بوضوح أن السلطة المصرية بعد ثورة 25 يناير 2011، مازالت على درب السلطة المصرية قبل الثورة. وهذه معطيات تشاؤمية، إذن، ما هي أسباب تفاؤلي؟

<u>أسباب التفاؤل:-</u>

1. إن الشعب النوبي تحرك وتأكد أنه قوي، وأن الحكومة أضعف مما تبدو، وأن النوبيين بالفعل أخذوا خطوات مهمة في طريق العودة النوبية، فقد كسروا تصميم السلطة بعدم عودتنا، حتى لو أن السلطة فكرت بخبث، أن يضعوا بعضنا في منطقة غير ذي زرع "كركر".
2. إن الشعب المصري بما فيه من قطاع نوبي، صار مختلفاً عما قبل ثورته المباركة التي انطلقت في 25 يناير 2011 فقد تم إسقاط جمهورية العَسكر الديكتاتورية "انقلاب 1952" لغير رجعة، وصرنا أقرب كثيرا من الديمقراطية، أي أنه لم يعد من السهل فرض تآمر ما على قطاع شعبي، فحق المواطن لم يعد مستباحاً بحجة مصلحة الوطن كما يدعي الفاسدون، فلا وطن متقدم بدون مواطن حر. وخطة تهجير وتذويب النوبيين، لن تُستكمل بحجة الأمن القومي.
3. بنجاح الخطوات الأولى من الثورة الشعبية المذهلة في 25 يناير، سقطت أو كادت مؤسسة الفساد الكبرى وكانت هي العدو الرئيس قبل الثورة، بل كانت أخطر علينا من السلطة الرسمية التي كانت منذ أكثر من عشرين عاماً، فمؤسسة الفساد الكبرى تحالفت تحالفاً قذراً مع السلطة وجعلت السلطة تحت أمرها، أي صارت هي السلطة الحقيقية، وبالتالي فحتى ما يُسمى بنظرية الأمن القومي المصري، صارت خرقة ليس لها أي قيمة. والدلائل كثيرة منها

ضياع هيبة ووضعية مصر بين دول إفريقيا والدول العربية، وبالتالي بين قوى العالم. ولاحظ الجميع أن أمننا القومي خلال حكم مبارك مثلا، صار أمن أسرة مبارك، ولم يعد هناك أمن قومي مصري حقيقي. المهم.. سقطت أو كادت مؤسسة الفاسد الكبرى، إذن تخلصنا منها أو كدنا. ولنا أن نتأكد من ذلك بقرار محافظ أسوان الذي اضطر لاتخاذه، والقاضي بإلغاء تخصيص 32ر000 اثنين وثلاثين ألف فدان للقطاع الخاص. والقطاع الخاص عنوان يختفي خلفه عدد من عصابة مؤسسة الفساد الكبرى. وعودة للأمن القومي المصري، سوف يتأكد المختصون أن تواجد النوبيين في منطقتهم النوبية، هو بند إيجابي للأمن القومي المصري لأسباب عديدة كتبت عنها من قبل كثيراً.

4. الحِراك الواضح لشباب النوبة المصرية، فقد أقبلوا زرافات ووحدانا منضمين للحِراك النوبي. ورغم قلة خبرتهم وسيولة حالهم، مثلهم مثل بقية شباب مصر، فإن أغلبهم على درجة عالية من الفهم والقابلية للعمل المنظم. والشباب قوة فاعلة، بل يمكن القول إن قوى الشباب ستكون هي القوة الأساسية في تحقيق حُلم العودة النوبية، فجانب من قوتهم، أنهم صاروا سوطاً يرعب كل نوبي يعمل ضد حُلم العودة، وأيضاً هم سوط يرهب أي قيادي يضع مصلحته الشخصية سواء أكانت مصلحة مادية، أم مظهرية، فوق مصلحة القضية النوبية. ومن الشباب سوف تظهر قيادات شابة تفهم المرحلة الراهنة، وتستعين بخبرة من سبقوهم. والشباب هم الأجدر بتولي قيادة الكثير من النواحي النوبية.
5. بعد سقوط جهاز أمن الدولة، انضمت أعداد كبيرة من النوبيين للعمل بنشاط في تحقيق حُلم العودة النوبية، فاكتسبت القوى النوبية قوى إضافية سوف يكون لها نتائج إيجابية طيبة.
6. إننا بالفعل أنجزنا خطوات ناجحة خلال السنوات القليلة الماضية، خطوات لم نكن نحلم بها مجرد حلم. منها أننا ضغطنا على السُلطة حتى اضطر الديكتاتور الذي فاخر بسفالة أنه حاصل على دكتوراه في العند، اضطررناه رغماً عن أنفه أن يتحدث عن النوبيين وعن طلباتهم، حتى وإن تكلم كذباً، فقد أجبرناه جبرا بخطواتنا الشجاعة التي لم تجبن أمام سفالات أمن الدولة، وبقية عصاباته الحقيرة. وأيضاً كانت السلطة مصرة على بناء مساكن المغتربين النوبيين فيما يُسمى "وادي النقرة" وهي منطقة تجاور منطقة كوم أمبو بصعيد مصر، أي بعيداً عن المنطقة النوبية، لكننا بنضالنا الشجاع، أجبرناها على بلع قراراتهم السرية وبناء المساكن داخل المنطقة النوبية، هذا وإن اختاروا كركر للإفشال، فإن كركر داخل المنطقة النوبية كما بينت آنفا، وسوف نتخطى مؤامراتهم.
7. أخيرا.. لن تعود الساعة للوراء، ومهما كانت حركات وتسللات الثورة المضادة، ومهما حاولت بقايا مؤسسة الفساد الكبرى أن تفعل، لإفشال الثورة العظيمة، ولخطف موطننا النوبي؛ فلن يفلحوا، فقط سوف يعطلوننا قليلاً، وتعطيلنا لمدة طويلة لن يكون بسبب تحركاتهم الخبيثة الجبانة، بل ستكون بناءً على تأخرنا في تكوين كيان نوبي منظم، يعبر عن أغلبية النوبيين. فإن سارعنا في تنظيم قوانا؛ فسنعود سريعا وننال كامل ما نخطط له، وإن طال زمن شتاتنا وبعثرة قوانا، فعودتنا ستكون أبطأ ولن ننال كامل ما نشتهيه.

بخصوص التحضير لاعتصام نوبي ابتداء من يوم 4 سبتمبر 2011

كتبت عاليه، "كُتب علينا النضال المتواصل لاستعادة موطننا النوبي بالطريق الصعب" علينا أن نعلم أننا في صدام مدوٍ ضد السلطة المصرية الغاشمة. وهذا الصدام عبارة عن سلسلة معارك متعاقبة بأساليب متباينة، مجموع انتصاراتها وهزائمها تفيد الانتصار أو الهزيمة لطرف من الطرفين. والشعوب دائما هي المنتصرة على المدى البعيد. علينا أن نعلم أن هذا الاعتصام ما هو إلا معركة من سلسلة معارك كانت وسلسلة معارك ستكون، فلا يتوقع أحد أن الاعتصام سيأتي لنا بالنصر المبين، ولا هو بالطبع في حالة عدم نجاحه التام، سيأتي لنا بالهزيمة الواضحة لا قدر الله.

علينا أن نعرف نوعية قوانا، ونوعية قوى السلطة. قوى السلطة هي قوى مادية غاشمة في الأساس. أي قوات جيش وشرطة، جهاز حكومي ديناصوري فاشل وغير أمين. إمكانات بشرية أغلبها موظفون ومنافقون ومنتفعون، إمكانيات مادية ومنها الرشاوى العينية، مثل منح الأراضي السكنية والزراعية التي تُعطى لذوي النفوس الضعيفة، وهذا ما تم مع مستأدب نوبي، علماً بأنني أنادي كل نوبي، يستطيع أن يشتري قطعة أرض زراعية أو سكنية، بِحُر ماله في موطننا النوبي حول البحيرة، أن يبادر بهذا. وقد شجعت بعضاً منهم على ذلك، لكن أن ينال خائن رشوة مثل قطعة أرض بثمن بخس، ليضرب القضية النوبية في ظهرها، فهذا هو المرفوض ويجب فضحه، وسوف تكشف الأيام كل من خان. وأيضا مع السلطة قوى ناعمة؛ فالجهاز الإعلامي مازال في غالبه منحرفاً، ويقوم بدور كبير في نشر أكاذيب السلطة، وبالتخويف المعنوي. وهناك طابور خامس نوبي حقير، منهم الواضحون المعروفون تماماً الذين ادعوا أنهم الشرعيون، ومنهم الموظفين النوبيين الذين يوافقون على قرارات المحافظ، ثم يدعي المحافظ بكل بجاحة أن النوبيين موافقون على ما يتخذه من قرارات، أو حتى الذين ينالون الرشاوى في الخَفاء ليثبطوا من نشاط النوبيين الشرفاء. وكما بينت عاليه، سوف يتم كشف هؤلاء الذين يظنون أنهم سيفلتون برشاويهم.

أما قوانا النوبية، فهي تتركز أساساً في القوى الناعمة، ملايين النوبيين المصممين على انتزاع حقوقهم. قطاعات من الشعب المصري يوما بعد يوم تقتنع بحق النوبيين في العودة، وسيكون لهذا القطاعات المصرية ثقل كبير خلال العام القادم. حقوقنا القانونية المصرية، وحقوقنا الإنسانية العالمية. إعلام غير حكومي يقترب منّا يوماً بعد يوم، بخلاف أن الإعلام الحكومي لم يعد عبداً مطيعاً تماماً للسلطة المصرية، بل يتجه كثيراً إلى الحقائق، وغيرها. وقد كتبت عن هذا في كتابي "النوبة وافتقاد البوصلة" ومن حيث القوى المادية، فنحن نمتلك القليل من المال يمكن استخدامه برشد فيفيدنا. وأيضا ألوف الشباب المستعد لمواجهة قوى الشرطة في حال تصديها لبعض تجمعات النوبيين التي يضطرون لها.

وبما أن قوانا معنوية "القوى الناعمة" فعلينا أن نتحاشى القوى المادية السلطوية، ونجبرها على التعامل معنا بأسلوبنا نحن ولا تجبرنا هي على التعامل بأسلوبها، وهذا يتطلب استخدام العقل لتفادي التصادم غير اللازم، وترشيد التصادم الضروري. وعليه أرى الآتي:-

1. تكوين إدارة مسئولة عن هذا الاعتصام من جميع جوانبه. ويمكن لهذه الإدارة ضم كل من تحتاجه من أفراد مع تقدم العمل، ينبثق من هذه الإدارة لجان منها ما يهتم بالإعلام، الماليات، الأمن، الاتصالات بالمسئولين، الجوانب الفنية، الإعاشة، النظافة. الخ.
2. أن يكون الاعتصام المأمول، أبعد ما يكون عن الصدام مع السلطة؛ لذا يستحسن أن يكون المكان بعيداً عن المباني الحكومية خاصة ديوان المحافظة. والحرص على ألا يتم اعتراض حركة السير ودواليب العمل الحكومي والأهلي.
3. اللافتات يجب أن تُنتقى بعناية، فهي مثلا.. (مصرية، نوبية، سلمية. النوبة وصل لا فصل. اللغة النوبية عامل من عوامل نصر أكتوبر. شاركنا في بناء السد العالي، شاركنا في حروب مصر) الخ. والغرض هو التأكيد لغير النوبيين أن القضية مصرية/نوبية. وهذه حقيقة؛ فيتعاطفون معنا وجدانيا، ثم خلال التحاور معهم يتفهمون قضيتنا عقليا، ثم منطقيا يعلمون أن حل القضية النوبية من مصلحة مصر. وفي نفس الوقت نكتب لافتات تبين إصرارنا على حق العودة، وأننا سوف نسير في الاتجاهات التي تتيح لنا العودة، طالما أن السلطة مصممة على استكمال تآمرها لإفشال حلم عودتنا، لكن لا تكون الكلمات واضحة الشراسة. أي أن لافتاتنا تضرب وتلاقي.
4. أن يكون المكان المختار متسعاً وفي نفس الوقت يمكن السيطرة عليه، وأيضا يمكن عرض كل ما نمتلكه من أدوات، ويمكن استيعاب الحضور غير النوبي ليبقى معنا فترات بقدر ما تسمح به ظروفه. بل وحث بعضهم على المبيت معنا. فقد اقتنعوا تماماً بأن قضيتنا قضية مصرية وليست فقط نوبية.
5. أن يكون مُشبعاً بما نملكه من قوى ناعمة، خاصة الفنون، فيكون الاعتصام اعتصاما حضاريا يذهل كل من يراه ويذهل الإعلام، وفي نفس الوقت يبين مدى قوتنا فيؤثر تأثيرا قوياً، مثلا..
   a. إذاعة داخلية تذيع الأناشيد النوبية مثل ("فخور أنا، كتبو علينا الهجرة المُرَّة، للفنان خضر. و"أديلا" للفنان حسن جزولي رحمه الله) وغيرهما. وأيضا أناشيد الفنان محمد منير مثل (إزاي. حدوتة مصرية الخ) وأيضا أغاني الثورة مع الأناشيد الناجحة خلال حرب أكتوبر"حلوة بلادي، خللي السلاح صاحي" الخ. وأناشيد 1952 الناجحة التي يمكنها الإيحاء بحقوقنا النوبية المصرية. والأناشيد التقليدية المعروفة، مثل (مصر تتحدث عن نفسها، الله أكبر. أخي جاوز الظالمون المَدَى) الخ.
   b. رقصات وأغان جماعية نوبية. ورقصاتنا بسيطة محترمة، مع تشجيع زوار الاعتصام من غير النوبيين للانضمام إلينا في رقصاتنا، وحبذا لو وجد عدد من السياح فيشاركوا معنا.
   c. صور كبيرة لعدد من النوبيين المعروفين للمصريين عامة، ومعروف وطنيتهم المصرية مثل خليل قاسم وذكي مراد وأيضا نضع معهم صورة لمحمد مراد صاحب كتاب "على هامش القضية النوبية" ومحمود السيالي الرافض الأول للتهجير الظالم،

ونحكي للحضور عنهما. وصورة لعبد الدائم طه الشاعر الكبير، والسبب أن بعضهم سوف ينشد قصائده العظيمة مثل "أشدد خطوك نحو المرفأ، دهميت قريتي" الخ. أيضاً صور للوقفات الاحتجاجية النوبية السابقة، وبجوارها صور للوقفات والمظاهرات المصرية في ميدان التحرير، والمظاهرات الفلسطينية وغيرها، خاصة مظاهرات شعوب إفريقيا جنوب الصحراء.

d. منضدة نعرض عليها عدداً من شرائط الأغاني والكتب النوبية للبيع، ويتم تصوير عدد من المقالات التي أيدت العودة النوبية التي كتبها غير النوبيين، لكن لا نتوسع في هذا حتى لا نقيم سوقاً يضر بالقضية التي نريد عرضها.

e. في حال حضور أي مطرب، يمكن عمل أمسية فنية له، على أن يراعي الحضور غير النوبي، فيغني بعض الأغاني المصرية الوطنية، مثلما يفعل الفنان فكري الكاشف بغنائه بعضاً من روائع أحمد فؤاد نجم وفؤاد حداد وألحان الشيخ إمام.

6. يتم دعوة كل الأحزاب للمشاركة في توقيت معين، وإن تم تخصيص ساعة يوميا لكل حزب، ليتكلموا عن القضية النوبية المصرية ورأيهم في حلها. ودعوة عدد من مشاهير أسوان للحضور والمشاركة بآرائهم، علماً بأننا يجب أن نؤكد أن مطلبنا أن نعود أولاً ثم من بعدنا أهالي أسوان عامة.

7. إلقاء محاضرات مختارة عن أهمية العودة النوبية للأمن القومي المصري، مثل الأستاذ العالم المختص في الآثار أ/ نصر سلامة. وهو متحمس جداً لإنشاء قرى نوبية حول المعابد النوبية، مثل "السبوع وعَمَدا".

8. بداية الاعتصام مسيرة نوبية من مكان معلوم حتى مكان الاعتصام؛ لجذب الأنظار وتعريف أهالي أسوان بالاعتصام. المسيرة تكون فنية أيضا. تضرب فيها الدفوف على امتداد المسيرة مع تصفيق فني مصاحب من السائرين.

9. مواصلات معينة تأتي بأهالي قرى التهجير بنظام ما، حتى يكون كل يوم به حشده النوبي، ولا ننسى دور المرأة النوبية.

المكان المقترح

1. يجب أن يكون قريبا من قلب مدينة أسوان. وسهل معرفة مكانه. مواصلاته سهلة. متسع. قريب من أماكن سكن التجمعات النوبية.

2. لا يكون ملاصقاً لأي مبنى حكومي مهم، ولا يسبب حتى القلق في اعتراض طرق مهمة، وبهذا لا يجد المسئولون أي حجة في فض الاعتصام بالقوة.

لذلك أقترح ساحة منشية النوبية مكاناً للاعتصام. الساحة المفتوحة وليست داخل فناء الجمعية، فنحن نريد ميداناً مفتوحاً. ساحة المنشية اتساعها معقول. وتكون جمعية منشية النوبية هي الخلفية التي ستتم فيها تحضير الإعاشة ونوم من يصيبهم التعب، ولتواجد دورات المياه. الساحة يقام فيها شادر يعطي ظلا واسعا للتجمعات الكبيرة، وعدد من الخيام المنفصلة.

بالطبع أهالي أسوان هم الأعلم بالمكان المناسب، فأهل مكة أدرى بشعابها.

وفي نفس الوقت بالإمكان عمل ندوات نوعية في أماكن نوبية أخرى، بشرط أن تكون قريبة من ساحة منشية النوبة. مثلا.. فناء جمعية الحصاية. يمكن عمل نشاط مواز فيه، وليس معنى هذا أنه خلال لقاء شعبي في الحصاية أن ميدان المنشية يغلق! بل الساحة شغّالة واللقاءات النوعية في أماكن أخرى مكمِّلة.

وأرى دعوة عدد من الصحفيين بقدر الإمكان، أو توجيه الدعوات لهم للحضور ويكون عليهم المصاريف، لكن بالنسبة للصحفيين الشباب، فالنوم في جمعية منشية النوبة متاح لهم.

نحن بهذا العمل المنظم، نكون قد حولنا بنداً ضاراً لنا وهو استمرار بقاء هذا المحافظ الظالم، إلى بند نافع لنا وأي نفع. فنحن بهذا العمل الجاد، سوف نكسب حملة إعلامية هائلة سواء أكان ذلك داخل مصر أم خارجها.

((((()))))

هذا الاعتصام هو الثاني نوبيا، فقد سبقه اعتصام بسيط قام به بعض رجال قرية توماس وعافية إسنا من حوالي عشر سنوات، اعتصموا في مستشفى إسنا ولم يهابوا تهديد مأمور قسم إسنا، ونجحوا في إجبار المحافظ وقتها على رفع ظلم ما كان يهددهم. كان هذا اعتصاماً بسيطا لعدد لم يتجاوز الرجال العشرة، لكن ما نحن بصدد الدخول فيه، هو اعتصام جماهيري كبير، ويجب أن يعلم النوبيون جميعا أنهم مسئولون عن نجاح هذا الاعتصام. فكل يسهم بما يستطيع، أي أن المعتصمين يكون خلفهم ملايين النوبيين، ماديا ومعنويا.

الاعتصام هو تجربة نتعلم منها لما بعده، تجربة لاعتصامات ووقفات ومسيرات ستُفرض علينا، الاعتصام تجربة تنظيم سنحتاجها بالفعل فيما بعد، وتجربة ثقة مضاعفة نحتاجها كثيراً.

الأفكار عاليه جانب منها انبثق وتَجَسَّد خلال الاتصالات التي تمت على التوالي بيني وبين السادة/ ممدوح المقاول بالقاهرة، حسين عبد المجيد بالإسكندرية، أبو السعود حمدته بأسوان، فلهم الشكر.

الإسكندرية في 8 رمضان. 8 أغسطس 2011

لماذا كان بعض النوبيين فرحين حين الهجرة؟!

هذا ما قاله اللواء صالح مرسي. وهو صادق، لكنه لم يحاول شرح لماذا؟ وهذا تقصير منه. نعلم جميعا أن النوبيين في مآس مستمرة منذ سنوات تشييد الخزان، أي من عام 1898 تقريباً. نحن في الأصل عملنا في الفلاحة. اعتمادنا على الزراعة ونخيلنا وبلحه. وحين تغرق الأرض ويغرق النخيل، هذا معناه الجوع. معناه اليأس. لنتخيل أن هذه الكوارث تكررت ثلاث مرات خلال بناء الخزان وتعليتيه والأخيرة منها عام 1933. أي أننا أصبنا بالمصائب التالية:-

1. الفقر والجوع الذي وصل بالفعل لموت الأطفال وعدم تواجد اللبن لا في البهائم ولا في صدور الأمهات. ووصل إلى حد الإملاق وعدم القدرة على شراء ملابس للفتيات البالغات، مثلما بين لنا محمد خليل قاسم في روايته الفذة "الشمندورة".
2. الهجرات المتواليات إلى مدن الشتات، والإحساس بالغربة لمن هاجروا، والإحساس بالفقد. كانت أعمالهم خدمية بسيطة، ونالوا من السخريات ما لا يحصى. وأيضا إحساس الضياع، فهم في المدن والأهل في قرى النوبة، أي أن الأسر كانت مشتتة أيضا. إنه الشتات والضياع.
3. من بقوا في القرى، بقوا في فقر، وكل أسرة ليس لها زوج أو ابن هاجر ليعمل في الشمال، كان الفقر بالنسبة لها فقرا قاسيا وإذلالا. ثم إن الزوجات والأطفال هنا والرجال والشباب هناك! إنه الشتات والضياع أيضا.
4. لنحسب مدة الفقر والشتات والضياع، إنها أكثر من 1898 حتى 1964، أي أن سنوات الفجيعة وصلت إلى 66 عاماً.
5. وحين يوجد وقتها زعيم، اعتقدنا أنه عظيم "كاريزمي" قال لنا إننا لن نتعب وإننا ذاهبون إلى الجنة، فالنوبيون وقتها كانوا فرحين؛ لأنهم سوف يهربون من الفقر المدقع وأنهم ذاهبون إلى الغنى، وأنهم سوف يتلاقون مع المهاجرين إلى المدن، ثم أنهم سيكونون أيضا بجوار النيل، نيلهم. ثم كانت الصدمة القذرة، حين وجدوا صحراء جرداء وسجنا اسمنتيا بشعاً، فكانت الأغنية ذائعة الصيت من تأليف زكريا وغناء خضر العطار.. (قالوا كوم أمبو الجنة الخضرة، رحنا لقينا جهنم حمرا) كان من انخدع فرحا، ثم وجد أنه تم النصب عليه. لكن لم يتكلم أحد عن أغلبية النوبيين الذين رفضوا الهجرة. من بكوا وتمرغوا في الأرض. ثم لنفترض أن الناس فرحوا، كلهم. فرحوا بناء على آمال قال بها الزعيم الكاذب الحقير جمال عبد الناصر ووكيلته الكاذبة حكمت أبو زيد. هل نسى السيد اللواء نموذج البيت النوبي الذي تم تشييده في أسوان وتم عرضه على قيادات نوبية، ثم وجد النوبيون الزنازين الحقيرة التي حشروهم فيها؟ لماذا لم يتكلم السيد اللواء عن فضيحة المساكن والأراضي التي لم تزرع من 5 سنوات حتى 11 عاماً. حتى لو فرح كل النوبيين، ألم يجدوا كل ما وعدوهم به كذبا ونصبا؟

وأمر آخر، ماذا كان يعمل السيد اللواء؟ واضح أنه ضابط، أي من السلطة؛ لذلك لم يشعر بالنوبيين وآلامهم وهو النوبي أصلاً، لكنه خلف بذلته العسكرية نسى أنه نوبي، وأيضاً نسى النوبيون أنه نوبي، وعاملوه على أنه عسكري من السلطة؛ فلم يحسوا به، ولم يحس بهم.

هذا رأيي، ويجب أن يتكلم اللواء عما كان في وسائل النقل وتعويضات قرى التهجير من بهدلة ومعاملة حقيرة.

الإسكندرية 2011/7/10

التنظيم أو الضياع

التنظيم، التنظيم، التنظيم. بدون التنظيم ستتحول صحوتنا النوبية التي هبت على مصر كلها وأثرت في السودان، ستتحول إلى فعل كان ثم لم يعد كائناً، وعليه في المستقبل ستكون صحوتنا النوبية مجرد ذكرى مؤلمة، مجرد فرصة نوبية ضائعة. ستتحول هبّة النوبيين التي أشرقت، إلى انحسار يائس، يضرب الحزن المضاعف على نفوس النوبيين المهيضة، سوف ترتد علينا موجة هائلة من اليأس، موجة تزعزع المد النوبي الإيجابي الذي كاد يتعملق، خاصة في سنوات 2006 حتى 2010. ستتحول الصحوة النوبية بهذا الانحسار إلى النكبة النوبية الخامسة، أي الخامسة بعد نكبات

الطوفانات والتهجيرات الأربعة. في سنوات الصحوة تم شرخ سد الخوف من السلطة، ثم انهار سد الخوف بعد الثورة المصرية العظيمة ثورة 2011.

ظهر في عموم مصر الكثير من النصابين الآملين في التربع على عرش الثورة، وهم لم يقدموا لها، أو قدموا لها القليل، حدث ويحدث هذا في ملف القضية النوبية. ظهر الكثير من النصابين والكذابين والمهرجين، والمرضى النفسيين، والطامعين والطامحين للمآرب الشخصية الرخيصة. وما يُحزن أن عدداً من النخبة النوبية التي آملنا فيهم دفعة للأمام، صاروا ثقلاً يربك الحِراك النوبي أكثر! تجربتهم حتى الآن فاترة مقلقة؛ ربما لأنها لم تأخذ وقتها الكافي؛ ربما لعدم خبرتهم؛ ربما لأن عدداً منهم اقتربوا بتوجس، ولم ينغمسوا في المعترك النوبي حقيقة. وبعضهم بكل أسف توهموا أنهم وحدهم القادرون على التخطيط والقيادة، وعلى عامة النوبيين أن يتبعوهم! وكأن عامة النوبيين مجرد رعايا! بكل أسف هؤلاء النفر من النخبة ذوي الشهادات العالية، أو من نجحوا في أعمالهم الخاصة، بهم علو وكِبِر بالإضافة إلى نفخة الغرور، علماً بأن المجتمع النوبي بدأ يقتنع بالعمل الجماعي، بالقيادات الجماعية المؤسسية، ثم يأتي هؤلاء النفر ليحاولوا إعادة المجتمع النوبي إلى عصر انقضى، بعد تفجر الصحوة النوبية والثورة المصرية!. كتبت من قبل عدّة مرّات عن ضرورة وجود النخبة النوبية، ومازلت مصراً على وجودهم، بدونهم لن يتقدم المجتمع النوبي بالسرعة الكافية، وأي مجتمع يتجمد ولا يساير العالم في تقدمه، سينتهي سريعاً ولن يبكي عليه أحد، والمجتمع الذي يتقدم ببطء، سينتهي ببطء، سيكون أثراً بعد عين.

نحن في مايو 2012، مصر كلها تمر بفترة مضطربة، فترة فارقة. السنوات الماضية احتاجت الصوت العالي، والهتافات الحادة والشحن المعنوي، والصدامات المدويّة. وبعد أن أجبرنا مصر كلها كدولة أن تعترف بحقوقنا، بعد أن أجبرنا الطاغية المخلوع أن ينطق باسمنا ويعترف بأن لنا حقوقاً، الآن صار التنظيم القوي هو الأهم، صار العقل المفكر هو الأهم، أما المهم، فهو استمرار الصوت العالي والهتافات الحادة والشحن المعنوي والصدامات المدويّة. كل مرحلة ولها أولويات مع احتفاظ كل مرحلة بوضوح الهدف الأساسي "العودة" وبوضوح الأهداف المساعدة.

من يظن أن الحكومة استسلمت لنا واهم. من يظن أن مؤسسة الفساد "المباركي"، قد توقفت عن مؤامراتها للاستيلاء على موطننا، فهو ساذج. ومن يظن أن عصابة الخونة النوبيين، الذين خانونا، قد انهارت وابتعدت فهو غبي. الأعداء مازالوا في الساحة مستمرين في محاولاتهم لهزيمة الصحوة النوبية، ونسف ما كسبناه بعد نضالنا الطويل. إذن، علينا أن نستمر في نضالنا، أن نشغل عقلنا بعمق أكثر وبإحاطة أشمل؛ لنجابه الخونة بذكاء حاد وحرص لا يغفل. هم يجابهوننا بدهاء خبيث، فعلينا أن نجابههم بدهاء ماكر، وبحرص على فضحهم وعزم على سحقهم. الجبهات العدوة الثلاثة "الحكومة، ومؤسسة الفساد المباركي، والخونة منّا" يحاربوننا متكتلين. مؤامراتهم ضدنا في أسوان، تتوافق مع قذارتهم التي يفعلونها في الإسكندرية، وقيادتهم الحقيرة في القاهرة. إن كانوا متكاتفين علينا، فكيف نكون نحن الشرفاء، المحبين بالفعل لنوبتنا ومصرنا، كيف نكون شرذمة متناثرة؟ كيف نسمح لأنفسنا أن نستمر حركات متنافسة متضاربة، وقيادات تعمل منفردة وكل

يحاول العلو على الآخرين، وكل يظن أنه الأقدر والأكفأ؟ استمرارنا في التفرق ثغرة سيغزونا منها الأعداء. لا أقول إننا يجب علينا التجمع مائة في المائة، من يطالب بأن نكون كتلة واحدة، إما جاهل وإما غبي. نحن بشر. فقط علينا أن نكوِن مجموعة واسعة تمثل 60% في بدايتها، وبعملها الإيجابي سوف تحصل على 70% من النوبيين، هذا في أقل من عام واحد. وأنا واثق أن نسبة التأييد ستصل لأكثر من 80%. وهذه النسبة عالية جداً جداً.

من حوالي عام كتبت مطالبا بهذا، وقُرئت ورقتي في مؤتمر قلت إنه سيفشل وفشل، والسبب أنه تكرار لمؤتمرات سابقة فاشلة. المهم أن ورقتي حازت على رضاء أغلبية الحضور، لكن لم نعمل على تنفيذها. والسبب ضعف التنظيم، وضعف التنظيم كما أشرت، هو ثغرتنا الخطيرة الهائلة، وإن لم نسد هذه الثغرة لن نكون، ثغرتنا هذه، يجب أن نحولها إلى قوة ضاربة تطيح بأعدائنا السفلة، وإلا الضياع لنا هو المؤكد.

من سُخف ما نفعل الآن، اهتمامنا بالحكومة المصرية الحالية، وأيضاً محاولتنا استعمال البرلمان المصري! أقول، لا الحكومة المصرية بيدها أي أمر يخص مصر، ولا البرلمان له دور حالياً. هما لا يستطيعان بالفعل، فعل أي أمر إيجابي أو سلبي. إذن نحن نضيع وقتنا في أي محاولة للتقارب معهما سواء أكانت مقاربة إيجابية أم سلبية. أمامنا على الأقل شهران لا حكومة ولا برلمان ولا قوة في مصر بيدها أي أمر مصري، فما أبعدنا عن الذكاء حين نضيع هذين الشهرين في محاولات للتقرب منها؟ أرى أن مدة الشهرين هذه، علينا أن نعلم بجد وإصرار، على تكوين تنظيمنا النوبي الجامع لـ 60% من القوى النوبية. وعندما تكون حكومة مصر قادرة على العمل، ويعود البرلمان للنشاط، ويفيق الإعلام المصري من هوجة الانتخابات، نكون قد استعددنا للتعامل معهم بقوة التنظيم؛ فنؤثر في الجميع، وأيضاً نمنع الشخوص الحقيرة من داخلنا، التي تحاول ركوب الموجة النوبية لتظهر، أو لتتكسب منها.

حجاج أدّول

الإسكندرية 22مايو 2012

فكرة إنشاء منطقة "بيت إفريقيا" بمحافظة أسوان

"بيت إفريقيا" هي فكرة إبداع منطقة مُشعة تحوي عبق إفريقيا برموزها، بحيث أن كل شعب إفريقي يجد إشارة له وإشادة في هذا المكان المصري، فالمكان سوف يتسع مع الوقت والمراحل التي سيتم التخطيط لها، والغرض الأساسي من بيت إفريقيا هو الربط الثقافي/ النفسي، أولاً بين شعوب القارة شمالها وجنوبها تمهيداً للربط الاقتصادي ثم تثبيتا له ثانياً، مع التركيز على شعوب حوض النيل. ولأن مصر هي دولة المصب أي هي الأضعف نهريا؛ فعليها المبادرة بعدد من الأفكار والمشاريع تكون لمصلحة شعوب وادي النيل كله، وعين مصر على مصلحتها في تأمين المياه أساساً، وأرى أن اهتمامنا بالجنوب قد بدأ بالفعل وإن كان متأخرا ويستدعي السرعة للتعويض.

والفكرة مبنية على فكرة إفريقيا سابقة نجحت نجاحا واضحا، هي منطقة "أصيلة" بالمغرب العربي، وغرضها الربط الثقافي بين أوروبا وافريقيا. فكرة تم تنفيذها ونجحت لاعتمادها على عقلية المفكر المغربي وزير الثقافة الأسبق الأستاذ محمد بن عيسى، والتشجيع الحكومي من قِبَل ملك المغرب شخصيا. بالفكر والتشجيع الصادق قامت وتقوم أصيلة بدورها المبتغى. ومثلما صارت أصيلة منطقة مشعة فنا وحضارة، فقد صارت أيضا متقدمة اقتصاديا، أي أصيلة حاليا قيمة مغربية مضافة في أكثر من مجال.

بيت إفريقيا يحتاج أولا مجموعة من المهتمين الواعيين، وبعدها يحتاج إلى الدعم المعنوي من كبار المسئولين، ثم يلي ذلك دعم ميزانيات متوالية "حكومية ومدنية" حسب المراحل التي سيتم إقرارها من علماء مصر ومفكريها. وما يصرف على فكرة "بيت إفريقيا" ليس للاستعراض الفارغ، بل هي ميزانيات يتم رصدها للإنتاج الثقيل، وكأننا نبني مجمعا صناعيا ضخما ليكون

موردا محسوبا بثقة من موارد الاقتصاد المصري. فـ "بيت افريقيا" إن بدأ بنبع محبة بين الشعوب الإفريقية على أرض مصرية، كرابط ثقافي نفسي يؤدي لمشاريع اقتصادية تنفع الجميع كما أسلفت، فستدفع شعوب المنابع والمرور نفسها لتحافظ على تدفق مياه نهرنا النيلي لأن تلك الشعوب أولا مستريحة نفسيا لشعب المصب.

والاعتماد الأساسي على القوى الناعمة، أي القوى الثقافية. وهنا تكون وزارة الثقافة بكافة جوانبها المتعددة، هي الطليعة الأنسب للتخطيط والمتابعة لهذا الدور بالغ الأهمية للأمن القومي المصري. وأقترح أن يكون هناك في مرحلة ما فرع للمجلس الأعلى للثقافة ليدير هذا العمل المهم بنفس نجاحه المرصود في القاهرة.

المنطقتان المقترحتان لبيت افريقيا:-

<u>الاختيار الأول:-</u> مدينة "أبو سنبل"

على حدود مصر/السودان، حيث معبد "أبو سنبل" والبحيرة النوبية "بحيرة ناصر". تلك المنطقة الواعدة بالعديد من المشاريع الاقتصادية المتنوعة.

معطيات المنطقة:-

1. هي أقرب منطقة في مصر للجنوب الإفريقي مكانا وثقافة.
2. الحضارة النوبية وتاريخها المعلوم هما فخر لكل الشعوب الإفريقية الجنوبية. إذن هذه المنطقة هي الأقرب مصريا إلى نفوس شعوب إفريقيا الجنوبية.
3. المساحات الشاسعة البكر التي لم تلوث بصريا ولا سمعيا الخ، حيث يكون التخطيط والتشييد فيها حر بدون عراقيل فنية تُذكر أو عراقيل مع سكان موجودين بالفعل.
4. وجود معبد "أبو سنبل" بعطائه الحضاري والسياحي، والإمكانات الهائلة لإقامة المهرجانات الفنية والأدبية والسياحية بل والرياضية بالقرب منه بحيث لا يُمس حَرَمه المقدس.
5. بانوراما البحيرة وعطاؤها الإنتاجي المائي والسياحي والسمكي. وإمكانية استغلالها في الرياضات البحرية والنشاطات الفنية عموما.
6. وجود مدينة "أبو سنبل السياحي" المُجهز ببنية أساسية معقولة، رغم بعض السلبيات في تخطيطها.
7. على الجانب الآخر من البحيرة سبق أن بُنيت قريتان نوبيتان "جُسطل،ادندان" ويمكن استغلالهما.
8. وجود ثلاث طرق جيدة للمواصلات. طريق بري مُسفلت. مطار جوي. خط ملاحي "البحيرة".

9. مناخ من أروع المناطق العالمية في فصل الشتاء. وبإمكان تخفيف قسوة الشمس في الصيف بالكثير من الزراعات الشجرية وأسلوب المباني لكسر حدة الشمس نهارا. وليلا لها تصاريف فنية أخرى.
10. كثافة سكانية معقولة أغلبها نوبي، ومع الوقت تزداد نسبة غير النوبيين فتحتفظ المنطقة بنوبيتها الثقافية وتتطور مع العصر مع تذويب العرقية بالتداخلات من عموم شعب مصر.

الاختيار الثاني:- "جنوب مدينة أسوان"-

والميزة هنا أن الامتدادات مفتوحة مثل المنطقة الأولى، خاصة وجود مساحات يمكن زراعتها وتوطين النوبيين وغيرهم فيها. وأيضا قربها من مدينة أسوان، حيث كثافة سكانية مفيدة، مع وجود طرق المواصلات وأيضا متحف النوبة وبقية الآثار، وقرب محافظة الأقصر بعظمتها التاريخية، وأيضا قرب القاهرة النسبي مقارنة بمنطقة "أبو سنبل".

المنشآت الأساسية لفكرة بيت إفريقيا:-

1. قرية أو أكثر تُبنى بأفكار المهندس الموهوب حسن فتحي. وتكون لحد كبير مقاربة للحياة النوبية القديمة مظهرا ومنتجة خاصة في الزراعة.
2. محيط ثقافي رياضي شامل، يحوي قاعات اجتماعات مختلفة الأغراض. صالات سينما ومسرح. تماثيل ذات صبغة افريقية. ساحتها المختلفة كل منها تحوي إشارة تجسد معلما من معالم شعوب افريقيا، وأسماء الساحات والشوارع بأسماء بلدان افريقيا وأهم عظماء تلك الشعوب سواء أكانوا سياسيين أم فنانين أم اقتصاديين أم رياضيين خاصة من نالوا الميدليات الأوليمبية وغيرها. والجوائز الأدبية العالمية مثل نوبل نجيب محفوظ وسوينكا أو حققوا سمعة أدبية كبيرة مثل سينجور. ولا ننسى العظماء من ذوي الأصول الإفريقية في العالم، أمثال مارتن لوثر كينج كحقوقي عظيم، وتوني موريسون كأديبة حائزة على نوبل. ولا من نالوا الأوسكار ولا من نالوا الميداليات الرياضية العالمية، أمثال كلاي وغيره. فالمطلوب ليس تنويب المنطقة، بل افرقتها.
3. مبنى يكون المركز الرئيس لنادي القلم الإفريقي. بالطبع سيكون مديروه وموظفوه مصريين. ويحمل على كاهله مسئولية التخطيط والتنفيذ. وسيكون مرضيا عنه من كتاب إفريقيا بسبب إمكاناته المتوفرة في المنطقة المختارة، ولنتخيل أن مؤتمر كتاب إفريقيا والتحديات الذي أقيم مؤخرا بالمجلس العلى للثقافة في القاهرة، نتخيل أنه وأمثاله يقام بعد سنتين مثلا في منطقة بيت إفريقيا.
4. نُزل بديع في بساطة وقريب من البحيرة لاستضافة الفنانين والأدباء المصريين والأفارقة، ونحاتي السومبوزيوم على وجه المثال. تكلفته قليلة وعطاءاته غزيرة في إضفاء مناخ للإبداع. وإن تم بناء النزل في بدايات المشروع، سيقوم الفنانون الموجودون في رسم الجداريات ونحت التماثيل وغيرها.

5. إنشاء معاهد وكليات ومراكز تعليم حكومية وأهلية على أعلى مستوى بما يناسب متطلبات القارة الافريقية (معاهد علوم تكنولوجية حديثة. معهد ألسن افريقية. مركز دراسات النيل من شتى النواحي. مركز طبي للأمراض المتوطنة والمنتشرة في افريقيا. معاهد فنية "سينما ومسرح وفنون جميلة.. الخ". دراسات للأديان الافريقية الفطرية). منها اقتصادي "بمصاريف" وجانب منح مصرية للموهوبين الأفارقة بما فيهم من مصريين.
6. ملاعب تبدأ بسيطة على هيئة ساحات ثم يستكمل بعضها، حيث تقام احتفالات دورية للرياضات الشعبية الافريقية. واللقاءات الفنية بما فيها من حفلات الغناء والموسيقى والرقصات الشعبية.
7. كما أن مصر فكرت ونفذت فكرة مؤتمر الرواية العربية وأكدت بها مركزيتها الأدبية العربية، فما المانع من عمل فكرة إفريقية موازية، مؤتمر الرواية الإفريقية كل سنتين، ويتم فوز أديب إفريقي بجائزة المؤتمر أيضا؟

وأرى أن يكون لجهاز التنسيق الحضاري التابع لوزارة الثقافة مع غيره من الأجهزة الفنية المتخصصة، يكون لها دور بالغ في المشاركة الإبداعية للتخطيط ليس لبيت إفريقيا بل لمدينة أسوان وتخومها بما يفيد تطلع مصر الجنوبي البعيد مكانا وزمنا. فلا يجب أن تكون رؤيتنا قصيرة ضيقة، نحتاج لرؤية حالمة قابلة للتحقيق بالعقول المصرية الفذة. حلم أن تكون منطقة بيت إفريقيا فوق دورها الأساسي الذي نوهت به، يكون لها جوانب إضافية مثل:-

أولا:- بيت إفريقيا يكون موازيا لمدينة شرم الشيخ فصليا، فإن كانت شرم الشيخ تزهر خاصة في الصيف، فعلى بيت افريقيا دور خاص في الشتاء بخلاف بقية المواسم. ففيها تعقد المؤتمرات بكافة المستويات بين مسئولين وخبراء ومفكرين وفنانين مصريين وبعضهم، وبين مصريين وغيرهم خاصة الأفارقة، بما فيها من لقاءات ومؤتمرات رؤساء دول. ويكون بيت إفريقيا وما حوله هو المشتى الذائع الصيت لأهم شخصيات العالم يوما ما، كما أن شرم الشيخ المنتجع الصيفي ذائع الصيت.

ثانيا:- محافظة أسوان سيكون لها مستقبلا جامعة بكامل كلياتها، وستركز جوانب منها على خصوصية بيئتها والجنوب. وعليه يجب التفكير من الآن.. كيف يكون لجامعة أسوان دور مُكمل في بيت افريقيا؟ ولنتخيل طلابنا المصريين وقد اختلط بهم طلبة وطالبات إفريقيا في ساحات العلم وفي مطاعم الكليات ومقاهيها وملاعبها وسكنها؟ لنتخيل الصداقات التي ستتكون علميا وإنسانيا بل وفرص التزواج بينهم، أي ثقافيا بالمفهوم الشامل. ألسنا في أمس الحاجة لتلك الخُلطة المثمرة؟.

ثالثا:- مقر للأزهر يقوم بدوره العادي، وفي نفس الوقت يستقبل المبعوثين الأفارقة ويبقيهم هناك وليس في القاهرة. ويكون المقر مستوحى من الجوامع الطينية الهائلة في الوسط الافريقي، لكن ليس بالضرورة أن يكون بالطين كاملا، بل أقصد الشكل التراثي الإفريقي بناء على تكنولوجيا حديثة.

رابعا:- الكنيسة المصرية ويكون لها دور مع الأفارقة المسيحيين. والمبنى يكون إفريقي الطراز أيضا.

خامسا:- كلياتنا العسكرية المتمركزة في القاهرة، لن تكفي على الأمد البعيد، فإن كانت لها أفرع في أسوان، وتم تشجيع قبول شباب إفريقيا للدراسة في الكليات العسكرية المصرية بأسوان، ستكون إضافة مُكَمَلة.

سادسا:- المنطقة النوبية المصرية إمكاناتها اقتصادية هائلة. زراعية وسمكية وسياحية ومواد خام وشمس هي طاقة متجددة، فالبحيرة شاسعة وعطاءاتها السياحية والسمكية هائلة. وحين يتم ربط فكرة بيت إفريقيا بكل هذه العطاءات ذات التفاصيل العديدة، ستكون تلك المنطقة الجنوبية هي الإبداع الموازي لما أبدعه العصر الفرعوني المصري العبقري في إحدى معجزاته، حين تم تحويل مستنقعات الشمال إلى وادي الدلتا الخصيب الذي أعطى مصر والعالم غذاءً وفيرا وعلما لا ينكره حتى كارهي تلك الحقبة الفذة، وكان هذا الوادي هو الرابط القوي بين مصر وشمال البحر الأبيض المتوسط. أحلم بأن يكون الوادي النوبي الجنوبي هو الرابط الثقافي المتين الاقتصادي المُبين بين مصر وجنوبها الإفريقي.

هذا مع ضرورة التعاون مع الحكومات الأفريقية التي تبدي استعدادها للمشاركة. ويمكن من البدايات أن تعرف الدول الإفريقية أن إمكانية بناء منطقة ثانية وثالثة لبيت افريقيا، ليست فقط ممكنة، بل هي مطلوبة لتعميم النشاط الإفريقي المشترك. وهذه المناطق ما هي إلا جسور تواصل نخبوية وشعبية وحكومية.

وأيضا التعاون مع الهيئات المدنية المصرية، خاصة الهيئات المرصودة من رجال الأعمال المصريين المهتمين بافريقيا، بحيث تكون إسهاماتهم مدخلا لمشاركتهم الاقتصادية. وأيضا التعاون مع الهيئات المدنية الإفريقية والعالمية. وبعد خطوات تنفيذية ناجحة لفكرة بيت إفريقيا، أثق أن العديد من الهيئات العالمية المدنية سوف تتقدم للمشاركة، فاهتمامات بيت إفريقيا كما هي تعليمية دراسية، فهي أيضا طبية، فمن ضمن بيت إفريقيا كما كتبنا مركز طبي للأمراض المتوطنة في افريقيا والأمراض المنتشرة مثل الإيدز والملاريا.. الخ، أي أن الجانب الإنساني موجود. وأرى أن الكثير من الأفارقة سواء أكان ذلك داخل إفريقيا أم خارجها من المشهورين الموسرين، سوف يهتمون بفكرة بيت إفريقيا خاصة بعد مرحلة ما يتبين للجميع أهميتها ودورها الثقافي الإنمائي، وفي هذه الحالة سوف يسهمون بأفكارهم ومجهوداتهم "فنية وأدبية وفكرية ومالية" في تحقيق أهدافها النبيلة.

الأستاذ الدكتور/ عماد أبو غازي. نفس هذه الفكرة قد قدمتها إلى السيد وزير الثقافة بتاريخ 1992/12/25. وقد تحمس السيد الوزير للفكرة وأجابني بخطاب الموافقة على الفكرة سكرتير الوزير وقتها الأستاذ سمير غريب. لكن من الواضح أن تنفيذ مثل هذه الفكرة يحتاج إلى اهتمام دولة وليس فقط وزارة الثقافة، وأعتقد أن هذا هو الذي ركن الفكرة. الآن وقد صُدِمنا بتحفز بعض

دول منابع النيل ضدنا، واعترافنا الداخلي بأن العيب فينا بإهمالنا للبعد الجنوبي بالغ الأهمية، ثم ببداية نشاط مصر الجنوبي، أرى أن من المهم أن أعيد عرض الفكرة على وزارة الثقافة متمثلة في المجلس الأعلى للثقافة، فالمجلس نيابة عن الوزارة أخذ المبادرة وقام بتنفيذ مؤتمرين إفريقيين في مدة قصيرة، أي أنه تقريبا مقدمة ثقافية نشطة قادرة على التفكير والتنفيذ.

السيد أمين عام المجلس الأعلى للثقافة.. أنا أديب فقط ولست مفكرا ولا أنا بالمثقف واسع الاطلاع عميقه؛ لذا أرجو مراعاة ذلك خلال قراءة هذه الورقات، فهي مجرد فكرة لأديب مهموم بوطنه المصري الشامل، وينظر دائما إلى الجنوب، حيث بيئته الأصلية وإفريقيته التي يعتز بها.

هذا ولكم التقدير والاحترام

مقدمه

حجاج حسن أدّول

الإسكندرية في 20 ديسمبر 2010

((((()))))

الأديب المفكر الإنساني/ محمد سلماوي

صباح الخير. أولاً أشكر لك مواقفك الإنسانية، ثم الوطنية المصرية، ثم الأدبية. وكل بند له شروحات. أتابع مقالاتك بالمصري اليوم "جرة قلم" وفي مقالك بعنوان "تشنوا أتشيبي" في الأحد 24 مارس 2013، قررت أن أرسل لك هذا الخطاب الذي اتعمد أن يكون قصيراً، تقديرا لانشغالك في أكثر من ميدان.

من منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، وأنا أهتم بإفريقيا الجنوب، ربما بسبب لوني ونوبيتي الافريقية، لكن السبب الأساسي، هو أهميتها وأهمية شعوبها كبشر من حقهم أن ينالوا الاهتمام الكافي، فلا نتخذ تخلف بلدانهم الحالي، بسبب الاستعمار وتجريف ملايين منهم وشحنهم عبيداً، ثم تعمد الميديا العالمية التقليل من شأنهم، واضيف سببا خاصاً بنا، وهو أمراضنا النفسية، التي تدفعنا لتبجيل الخواجة الأشقر الشمالي، والتعالي على اللون الأسود الجنوبي. لا نجعل تلك الأسباب المصطنعة حججاً للتنائي عنهم. الجنوب الإفريقي بالغ الأهمية لمصر، خاصة شعوب وادي النيل، فنحن الحلقة الأضعف في هذا الوادي، بصفتنا بلد المصب الذي يعتمد أساساً على المياه التي تولد في دول المنبع، وتعبر دول المرور لتصل إلينا أخيرا.

كتبت كثيراً وتحدثت أكثر في أوساط المثقفين، عن دور النوبة الجسري بين مصر والسودان، ثم بين مصر والسودان وبقية الشعوب النيلية. وأركز على كلمة الشعوب؛ لأن الدور النوبي المطلوب اساساً، دور ثقافي. وقد كتبت من حوالي عشرين عاماً، خطاباً للسيد الوزير الأسبق/ فاروق حسني، عن فكرة "بيت النيل" وهي فكرة مستوحاة من فكرة "مهرجان أصيلة

الثقافي" بالمغرب، وما كتبت عنه سابقا "نظرية رمسيس ونفرتاري". فكما أن مهرجان أصيلة يجمع ثقافياً بين أوربا وإفريقيا، فإن بيت النيل، وتركيزه حول معبد "أبو سنبل"، أقصى جنوب مصر، من المفترض أن يجمع بين شمال وجنوب القارة الإفريقية. فالمعبد ثنائي، معبد كبير هائل لرمسيس المهيب، ومعبد صغير أنيق رقيق للجميلة نفرتاري الجنوبية، والمعبد بثنائيته، صرح ثقافي جنوبي التوجه، يقول للجنوب، نحن معاً، وابنتكم ذات قيمة لدينا، فمكانتها بجوار الفرعون العظيم رمسيس. من يأتى من الجنوب، سيستريح نفسياً بالمعبد النفرتاري، وإن كان آتيا وفي قلبه خبث، فرهبة تماثيل رمسيس الأربعة كافية لكسره. طبعا ما قلته في الأسطر السابقة، مختصر مخل لا يفي بفكرة المعبد الثنائي العظيم، وهدف بنائه هناك، حيث يطل على الجندل "الشلال" الثاني.

اهتم السيد الوزير بفكرتي، وأرسل لي مبدياً ترحيبه بتحقيق الفكرة، لكن لم تتشجع الدولة فيما أظن، فالمشروع أكبر من وزارة الثقافة منفردة، المشروع يحتاج لاقتناع ورؤية وتنفيذ دولة مصر، ودولة مصر تتعالى على الجنوب الافريقي.

وبقدر سعادتي بمهرجان الفيلم الإفريقي بالأقصر، بقدر ما حزنت، فالمكان الصحيح لهذا المهرجان وغيره، هو أسوان، لأكثر من سبب، فالمهرجان يجب أن يكون جزءاً من كل. بنداً من رؤية شاملة. ففي بيت إفريقا، يكون المكان رحباً، قرى مجمعة يتوسطها بندر كعاصمة مُشعة، تحوي أماكن ثقافية رياضية تعليمية طبية. ميادينها وشوارعها بأسماء بلدان وعواصم إفريقيا، وأسماء المبدعين الأفارقة في كل مجال، ومنهم اسم تشينوا أتشيبي الذي كتبت عنه سيادتك، وقالت لك عنه أديبة جنوب إفريقيا البيضاء نادين جورديمر، إنه أهم أدباء القارة الافريقية. وأسماء عظيمة العطاء كسينجور ومانديلا ونجيب محفوظ واهم أبطال الرياضة، والمبدعين خارج القارة ذوي الأصول الإفريقية، كمحمد علي كلاي، ومارتين لوثر كينج، وتوني موريسون وسيدني بواتييه وأوبرا وينفري.. الخ، بل وأسماء غير الأفارقة الذين أحبوا القارة وقاتلوا من أجل حقوقها، وهم كثيرون.

الأستاذ الفاضل محمد سلماوي. مرفق الفكرة، فإن كان عند سيادتكم فرصة، أرجو القراءة.

لك التحية والتقدير.

حجاج حسن أدّول

الإسكندرية في 2013/3/26

((((()))))

مرفق نفس هذا الخطاب. وفكرة بيت أفريقيا

http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=376588

الخميس 2013/3/23

جرة قلم . مقال يومي بجريدة المصري اليوم، بقلم الأديب الصحفي محمد سلماوي.

بيت النيل

وصلنى تعليق مهم على مقالي الذي نشرته منذ أيام حول كاتب نيجيريا الكبير تشنوا أتشيبى الذي تعجبت فيه من أننا نتحدث كثيراً عن أهمية أفريقيا وضرورة توطيد علاقاتنا بها، ثم حين ترحل إحدى أهم شخصياتها الثقافية لا نجد لذلك ذكراً فى أى من صحفنا أو أجهزتنا الإعلامية، فكيف إذن يكون الاهتمام: هل فقط بالصراع من أجل الحفاظ على حصتنا فى مياه النيل؟

التعليق جاءنى من الروائى النوبى الكبير حجاج حسن أدول، ويطرح فيه فكرة سبق أن طرحها منذ سنوات، لكن الدولة التى لم تكن تهتم آنذاك بأفريقيا فلم تهتم بها، وهى تتلخص فى إقامة ما سماه «بيت النيل» الذى يقترح إقامته فى منطقة أبوسمبل جنوب مصر فى موقع النوبة، الذى يربط بين شمال وجنوب القارة الأفريقية.

وقد أرسل لى رفق رسالته تفاصيل المشروع الذى يقوم على إنشاء مركز تجمع ثقافى لجميع شعوب أفريقيا بثقافاتها المتعددة، بغرض الربط الثقافى والوجدانى بيننا وبين هذه الشعوب، وذلك عن طريق إقامة المهرجانات والأنشطة الفنية والأدبية والفكرية التى يشارك فيها رموز الثقافة من مختلف هذه الدول.

يقول صاحب المشروع إن طبيعة المنطقة الواقعة على ضفاف بحيرة ناصر، بمساحاتها الشاسعة، تسمح بإمكانيات كبيرة: سياحية ورياضية، بالإضافة للأنشطة الثقافة والفكرية.

وإنى أتفق مع «أدول» على أهمية هذا المشروع، فالقوى الناعمة هى وسيلة مصر المثلى لإقامة علاقات وثيقة مع القارة الأفريقية، كى نبنى مجمعاً ضخماً يكون بمثابة «نبع محبة بين الشعوب الأفريقية على أرض مصر، ورابط ثقافى ووجدانى يؤدى لمشاريع اقتصادية تنفع الجميع»، كما يقول.

ولاشك أن مشروع «بيت النيل»، الذى يقترحه أديب النوبة الكبير، سيملأ فراغاً عانينا منه طويلاً فى علاقتنا بالقارة التى تقع فيها بلادنا، كما أن تحويل منطقة النوبة من حاجز جغرافى بين مصر وأفريقيا إلى جسر ثقافى ووجدانى بين الجانبين هو تفكير سديد على كل المستويات الحضارية والثقافية والسياحية، ويسمح بالتبادل الثقافى والرياضى، كما ورد بالمشروع.

وحسبما ورد فى المشروع، فإن تمويل «بيت النيل» يقع على عاتق الدولة المصرية، وإن كنت أرى إمكانية تحويله إلى مشروع أفريقى مشترك، تساهم فيه دول أفريقية أخرى، وتكون مساهمة مصر بالأرض وبالخدمات المطلوبة، وذلك على غرار معهد العالم العربى بباريس الذى قدمت له الحكومة الفرنسية الأرض والمبنى، أما ميزانيته السنوية فتأتى من الدول العربية.

أما الشرط الأساسى لنجاح المشروع فهو أن تتوفر، قبل أى شىء آخر، الرؤية الواعية لدى النظام الحاكم لتحويل بعض الاهتمام من الدول الخليجية النفطية إلى دول القارة، التى تقع فيها بلادنا وينبع منها شريان حياتنا.

msalmawy@gmail.com

((()))))

التاريخ كثيراً ما يعيد نفسه مع بعض الرتوش نتيجة لاختلاف الزمن، والكثير من المآسي الإنسانية التي تقع على شعب ما، كثيرا ما تقع على شعب غيره في زمن مواز أو لاحق. وما حدث من مآس على شعوب الهنود الحمر حدث مثله تقريباً على النوبيين، وكأن النوبيين هم الهنود السمر! ولا أتجاوز حين أقول أن المآسي التي وقعت على الشعب الفلسطيني، حدثت جوانب منها على الشعب النوبي! لكن لنبقى قليلاً مع صفحة من المآسي الهندية.

وجدت رسالة شهيرة من قائد قبائل سياتل الهندي الحمراء، إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، يؤنبه فيها ويبين له عاقبة الغدر والغطرسة الأمريكية على أمريكا نفسها، وعلى البيئة المسالمة، إن لم يراعوها كما كان الهنود يراعونها، وبناء على هذا الخطاب كتبت خطاباً نوبياً إلى رئيس الجمهورية وقتها، ونشرته في موقع شفاف الشرق الأوسط.

رسالة من الزعيم الهندي سياتل

إلى الرئيس الكبير في واشنطن

وصل إلى علمنا أن الرئيس الكبير في واشنطن يريد شراء أرضنا مع عبارات الصداقة والنية الحسنة. إن ذلك شئ رائع لأنه –كما نعلم- لم يعر اهتماماً لصداقتنا يوماً من الأيام.

إننا سوف نفكر بشأن هذا العرض، مع علمنا بأن الرجل الأبيض ربما يود القدوم لأخذ أرضنا بقوة السلاح. إن على الرئيس الكبير في واشنطن أن يأخذ ما يقوله رئيس القبيلة (سياتل) بجدية كما يأخذ الأخوة البيض مسألة عودة الفصول الطبيعية إذ إن كلماتي هي كالكواكب الثابتة التي لا تتساقط أبداً.

كيف يمكن للمرء أن يشتري السماء أو يبيعها وكذلك دفء هذي الأرض؟ إن هذه الفكرة مثيرة جداً بالنسبة لنا، إذ إن نقاوة الهواء أو لمعان المياه ليسا ملكنا فكيف يمكنك شراؤهما منا؟! إن كل قطعة من هذه الأرض هي في غاية القداسة لشعبي، كذلك كل أشجار الغابة العالية والضفاف الرملية في وسط الغابات الكثيفة المظلمة وكل ضوء ينساب داخلها وكل حشرة تطن في أرجائها, كل ذلك يبقى مقدساً في ذاكرة شعبي على الدوام.

إننا نعلم علم اليقين بأن الرجل الأبيض لا يفهم طريقتنا في التفكير والحياة، كما أنه لا يهتم لمصير أرضه وأرض غيره؛ لأنه يأتي تحت جنح الظلام ويأخذ من الأرض ما يحتاج. إن الأرض ليست أخاً له بل عدواً وعندما يحتل أرضاً، فإنه يمضي قدماً في احتلال غيرها، تاركاً قبور آبائه خلفه ويدمر أرض أبنائه بلا مبالاة. إن جشعه يدفعه لابتلاع الأراضي ولن يتوقف إلا عند الصحاري.

إن منظر مدنكم يؤلم عيون ذوي الجلد الأحمر، وربما يرجع سبب ذلك إلى أن الرجل الأحمر هو إنسان متوحش ولا يفهم...

لا يوجد في مدن الرجل الأبيض مكان للهدوء أو لنغمات أوراق الربيع أو لسماع رفيف جناح حشرة، وهذا ربما يعود ربما لكوني متوحشاً ولا أفهم شيئاً لذلك تتألم أذني عند سماعها الضوضاء. أية حياة هذه عندما لا يستطيع الإنسان سماع نداء البلابل أو نقيق الضفادع حول حفرة المياه!

يحب الهندي صوت الرياح الرقيق، عندما يهب على مياه البحيرة ورائحة الهواء عندما تغسله أمطار الظهيرة أو عندما يكتسب رائحة شجرة العفص. إن الهواء غال بالنسبة للرجل الأحمر؛ لأنه يتنفسه كبقية الحيوانات والأشجار والناس، بينما لا يعير الرجل الأبيض اهتماما للهواء الذي يتنفسه، شأنه في ذلك شأن الشخص تقتله الروائح النتنة ولا يشعر بها وحتى لو فرضنا أنني توصلت إلى قرار قبول عرضكم بشأن شراء الأرض فإنه سوف يكون مشروطاً بأن يعامل إخوته. إنني متوحش ولا أفهم غير ذلك. لقد **رأيت** بأم عيني ألفاً من الثيران الوحشية مرمية في البراري ومتفسخة بعد أن أطلق عليها التجار البيض النار من القطار أثناء سيره.

إنني متوحش ولا أفهم فعلاً كيف يكون الحصان الحديدي الذي ينفث الدخان أهم من الجاموس البري الذي نقتله نحن فقط لكي نعتاش من لحمه. ترى ما هي قيمة الإنسان بدون الحيوان؟ وكيف يكون الحال لو لم تكن هناك حيوانات على الإطلاق؟ ألا يموت الإنسان ضجراً بسبب عزلته الكبرى؟ إن كل ما يمس الحيوان يمس الإنسان أيضاً. هذه كل الأشياء مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً وكل ما يلحق بالأرض يلحق بأبناء الأرض أيضاً.

ربما يمكننا أن ندرك لو عرفنا ما هو الحلم الكبير للرجل الأبيض، وما هي آماله التي يقصها على أبنائه في أمسية من ليالي الشتاء الباردة، وما هي الصور التي يرسمها في عقول أبنائه والتي يتمناها لهم في الغد؟

على أية حال فنحن نعتبر متوحشين.. إن أحلام الرجل الأبيض خافية علينا ولأنها كذلك فسنسير في دربنا الذي اعتدنا عليه. وحتى لو وافقنا على عرضكم، فإنه سيكون فقط من أجل إنقاذ مناطق العيش التي وعدتمونا بها. ربما سنتمكن هناك من قضاء الأيام القليلة الباقية لنا كما نود.

عندما سيختفي آخر رجل أحمر من الأرض وعندما ستكون الذكريات كظل سحابة تسير فوق البراري، عند ذاك ستتمسك حافات الغابات بأرواح شعبي الذي أحب هذه البلاد كحب الوليد لدقات أمه.

وعندما نبيعك أرضنا الرجاء أن تحبوها كما أحببناها واهتموا بها كما عملنا نحن، وضعوا في أفكاركم صورتها عندما أخذتموها منا.

هناك شئ واحد نفهمه وربما سيكتشفه الرجل الأبيض يوماً ما، أن إلهنا هو نفس الإله. وربما تعتقدون بأنكم تمتلكونه أيضاً كما تريدون أن تمتلكوا الأرض وهذا ما تقدرون عليه. انه إله الناس جميعاً وإن رحمته لا تقتصر على إنسان الأبيض فقط، بل تشمل الرجل الأحمر أيضاً، إن الأرض بالنسبة للإله ثمينة وعلى هذا الأساس، فإن الإضرار بالأرض يعتبر بمثابة إهانة للخالق.

استمروا في توسيخ فراشكم وسوف تختنقون في أحد الأيام في مزابلكم وأوساخكم. وعندما تذبح كافة الجواميس البرية وعندما يصار إلى جعل الخيول البرية كلها أليفة وعندما تطغي رائحة اللواتي يتهادين ببدلاتهن، فلن يبقى آنذاك سر للغابات الكثيفة. وأين سيكون النسر؟ هو الآخر سيمضي إلى غير رجعة.

إننا نناشدكم الحفاظ على الأرض من أجل أطفالكم بكل ما أوتيتم من قوة وما تمتلكون من شجاعة وإخلاص وأن تحبوها كما أحبنا الله جميعاً.

ثمة شئ واحد نعرفه تمام المعرفة وهو أن إلهنا هو نفس الإله والأرض غالية عنده جداً.

((((()))))

رسالة من الزعيم النوبي نَبْ
إلى الرئيس الكبير في القاهرة♦

وصل إلى علمنا أن الرئيس الكبير في القاهرة يريد الاستيلاء على أرضنا ببطاقة المواطنة المصرية التي سيمنحها لنا، أي الاستيلاء على أرضنا مع عبارات الود والنية الحسنة. إن ذلك شيء رائع لأنه –كما نعلم- لم يعر اهتماماً لصداقتنا يوماً من الأيام، لا هو ولا أغلب من سبقوه في حكم الشمال.

إننا سوف نفكر بشأن هذا العرض، مع علمنا بأن الرجل القمحي في الشمال ربما يود القدوم لأخذ أرضنا بقوة السلاح والمعتقلات إن قاومنا خطته. إن على الرئيس الكبير في القاهرة أن يأخذ ما يقوله (نَبْ) بجدية كما يأخذ الأخوة القمحيين مسألة عودة الفصول الطبيعية؛ إذ إن كلماتي كالكواكب الثابتة التي لا تتساقط أبداً.

كيف يمكن للمرء أن يشتري السماء أو يبيعها وكذلك دفء هذه الأرض؟ كيف يكون مشروعاً كبيراً يتم بيعه لمن يمتلكون المال المتراكم ويُحرم منه أصحاب هذه الأرض؟ إن هذه

♦ تناص مع رسالة الزعيم الهندي سياتل إلى الرئيس الكبير في واشنطون.

الفكرة مثيرة جداً بالنسبة لنا؛ إذ إن نقاوة الهواء أو لمعان المياه ليسا ملكنا، إنها للخالق. فكيف يمكنك شراؤهما منا ببطاقة مواطنة أو بشعار أننا نسيج واحد؟! وإن كنت تريدنا نسيجاً واحداً فيكم، فلماذا تتلفون خيوطنا الموروثة؟! إن كل قطعة من هذه الأرض هي في غاية القداسة لشعب، هي كذلك كل أشجار النخيل العالية وسط الكثبان الرملية الكثيفة، وكل ضوء ينساب داخل الزراعات وكل حشرة تطن في أرجائها, كل ذلك يبقى مقدساً في ذاكرة شعبي على الدوام.

إننا نعلم علم اليقين بأن الرجل الرمادي في الشمال فهم كيف يتعامل مع بعض الفاسدين من قبائلنا، نعلم أنه أتى ببعضهم من قبائلنا الجنوبية إلى الملاهي والنساء البيض والخمر الغربية ليوقعوا على صكوك بيع ناسهم وأرضهم. لكن الرجل الرمادي إن فهم كيف يتعامل مع الفاسدين حتى ببعض المناصب، فهو لا يفهم طريقتنا في التفكير والحياة، كما أنه لا يهتم لمصير أرضه وأرض غيره؛ لأنه يأتي تحت جنح الظلام، ويأخذ من الأرض ما يحتاج وما يحتاج أن يبيعه باسم الوطن ليقبض الثمن ويعطيه لأطفاله ولا يعطي شيئاً للوطن الذي باع باسمه. إن الأرض ليست أخاً للقمحي القاهري، بل هي سلعة يبيعها. وعندما يحتل أرضاً، فإنه يمضي قدماً في احتلال غيرها، تاركاً قبور آبائه خلفه ويدمر أرض أبنائه بلا مبالاة. إن جشعه يدفعه لابتلاع الأراضي ولن يتوقف إلا عند الصحاري.

إن منظر مدنكم يؤلم عيون ذوي الجلد الأسمر، وربما يرجع سبب ذلك إلى أن الرجل الأسمر هو إنسان متخلف ولا يفهم أطماعكم ومخططاتكم.

لا يوجد في مدن الرجل القاهري مكاناً للهدوء أو لنغمات أوراق الربيع أو لسماع رفيف جناح حشرة، وهذا ربما يعود إلى أنني أسمر متخلف في نظر شعبكم القمحي, وربما في نظركم لا أفهم شيئاً لذلك تتألم أذني عند سماعها الضوضاء. أية حياة هذه عندما لا يستطيع الإنسان سماع نداء البلابل أو نقيق الضفادع حول جدول المياه!

يحب النوبي صوت الرياح الرقيق عندما تهب على مياه النهر ورائحة الهواء عندما تغسله رطوبة الفجر أو عندما يكتسب رائحة نخيل البلح. إن الهواء غال بالنسبة للرجل الأسمر لأنه يتنفسه كبقية الحيوانات والأشجار والناس، بينما لا يعير الرجل القاهري اهتماما للهواء الذي يتنفسه شأنه في ذلك شأن الشخص تقتله الروائح النتنة ولا يشعر بها. وحتى لو فرضنا أنني توصلت إلى قرار قبول عرضكم بشأن الاستيلاء على أرضي النوبية، فإنه سوف يكون مشروطاً بأن نعامل بمواطنة كاملة. إنني متخلف في نظركم ولا أفهم غير ذلك. لقد رأيت بأم عيني ألفاً من أشجار النخيل مخنوقة بالمياه التي حجزها خزانكم في أسوان ولم أفهم لماذا! ورأيت ألوفاً من بيوتنا الواسعة غرقى ولم يرتجف لكم رمش ولم يتأسى عندكم ضمير. أطلق عليها الموظفون القاهريون نار قراراتهم العنصرية الفاسدة.

إنني متخلف في نظركم ولا أفهم الوطنية المصرية ولا الوطنية السودانية ولا مشاريع التنمية، ولا أفهم كيف تكون التنمية في بلادكم على حساب قتلنا شتاتاً ومحواً لتراثنا كله؟ إنني

متخلف في نظركم ولا أعرف كيف تكون زراعة قطنكم وقمحكم على حساب قتل نخيلنا الذي نتعيش على بلحه؟ لا أفهم كيف تولدون الكهرباء من عظام غرقانا ثم تتركون بقايانا في ظلام التجاهل! هويتنا نحن النوبيين نيلية، ورغم ذلك اقتلعتمونا من قرانا التي تلازم النيل والنخيل لتلقوا بنا في الصحراء "خشم القربة وكوم أمبو" باسم التطور. ترى ما قيمة الإنسان النوبي بدون النيل والنخيل؟ أجبرتمونا على ترك كلابنا وقططنا وهجران غزلاننا وذئابنا وطيورنا التي تسكن معنا البيت تسكن معنا الجبل. وببشاعة قراراتكم مات بقرنا وماعزنا. وكيف يكون الحال لو لم تكن هناك أشجار وحيوانات على الإطلاق؟ ألا يموت الإنسان ضجراً بسبب عزلته الكبرى؟ إن كل ما يمس النبات والحيوان يمس الإنسان أيضاً. فكل الأشياء مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً وكل ما يلحق بالأرض يلحق بأبناء الأرض أيضاً.

ربما يمكننا أن ندرك لو عرفنا ما هو الحلم الكبير للرجل القاهري الشمالي وما هي آماله التي يقصها على أبنائه في أمسية من ليالي الشتاء الباردة وما هي الصور التي يرسمها في عقول أبنائه التي يتمناها لهم في الغد.

على أية حال، فنحن نعتبر متخلفين من وجهة نظركم.. إن أحلام الرجل القاهري في الشمال خافية علينا ولأنها كذلك؛ فسنسير في دربنا الذي اعتدنا عليه. وحتى لو وافقنا على عرضكم بأن تستولوا على نوبتنا الأصلية؛ فإن السبب هو مآسينا التي سببها خزانكم وتعليتاه، حتى ضربنا الفقر وتهاوت نظمنا الاجتماعية بسبب هجرة الرجال إلى مدنكم الشمالية؛ ليجدوا عملاً تافهاً بدلاً من العمل في الفلاحة. وهل كان يمكن لنا أن نعمل في الفلاحة وأرضنا غرقت بسببكم؟ وافقنا أن تستولوا على أرضنا بسبب الفقر الذي قذفتوه علينا، فظن الكثير منّا أننا بقربنا منكم سوف ترضوا عنّا ويتم إنقاذنا، خاصة أن الزعيم الناصري الكبير وعدنا بكل الخير ووعدنا بأن شملنا سيتم جمعه، وأرسل لنا امرأته ذات الفم الواسع لتؤكد كذبه. وأيضاً وافقنا رغماً عنّا، فمعكم السلاح وصك الوطنية والهواء المعبئ بالصوت والصورة. ربما نحن عجائز النوبة سنتمكن في كوم أمبو وخشم القربة من قضاء الأيام القليلة الباقية لنا كما نود.

عندما سيختفي آخر رجل قمحي من الأرض –وهذا لن يكون سريعاً- وعندما ستكون الذكريات كظل سحابة تسير فوق البراري، عند ذاك ستتمسك حافات بحيرة النوبة بأرواح شعبي الذي أحب هذه البلاد كحب الوليد لدقات قلب أمه.

أيها الرجال القاهريون، عندما تستولون على أرضنا، رجاء أن تحبوها كما أحببناها وتهتموا بها كما عملنا نحن وضعوا في أفكاركم صورتها عندما أخذتموها منا.

هناك شئ واحد نفهمه وربما سيكتشفه الرجل القاهري يوماً ما، أن إلهنا هو نفس الإله. وربما تعتقدون بأنكم تمتلكونه أيضاً كما تريدون أن تمتلكوا الأرض وهذا ما تقدرون عليه. إنه إله الناس جميعاً ورحمته لا تقتصر على الإنسان القمحي الشمالي فقط بل تشمل الرجل الأسمر النوبي

أيضاً. إن الأرض بالنسبة للإله ثمينة، وعلى هذا الأساس فأن الإضرار بالأرض يعتبر بمثابة إهانة للخالق.

استمروا في توسيخ فراشكم وسوف تختنقون في أحد الأيام في مزابلكم وأوساخكم. وعندما تذبح كافة النخيل البرية وعندما يصار إلى جعل الذئاب البرية كلها أليفة، وعندما تطغي رائحة اللواتي يتهادين ببدلاتهن؛ فلن يبقى آنذاك سر لغابات النخيل الكثيفة. وأين سيكون النسر؟ هو الآخر سيمضي إلى غير رجعة.

إننا نناشدكم الحفاظ على الأرض من أجل أطفالكم بكل ما أوتيتم من قوة وما تمتلكون من شجاعة وإخلاص وأن تحبوها كما أحبنا الله جميعاً.

ثمة شئ واحد نعرفه تمام المعرفة وهو أن إلهنا هو نفس الإله والأرض غالية عنده جداً كما هي غالية جداً علينا نحن النوبيين؛ ولذلك نحن عائدون إلى أرضنا سواء وافق الرئيس الكبير في القاهرة أم لم يوافق.

نَبْ سياتل

حجاج أدّول

2004/7/26

موقع شفاف الشرق الأوسط